مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
التوحيد
ALTAWHEED
العدد ٤٤١ - السنة السابعة والثلاثون - رمضان ١٤٢٩ هـ
وفتِّحت أبواب الجنان
خلاصة الكلام في أحكام الصيام
رمضان وأبواب الخيرات
منزلة الصيام في القرآن الكريم

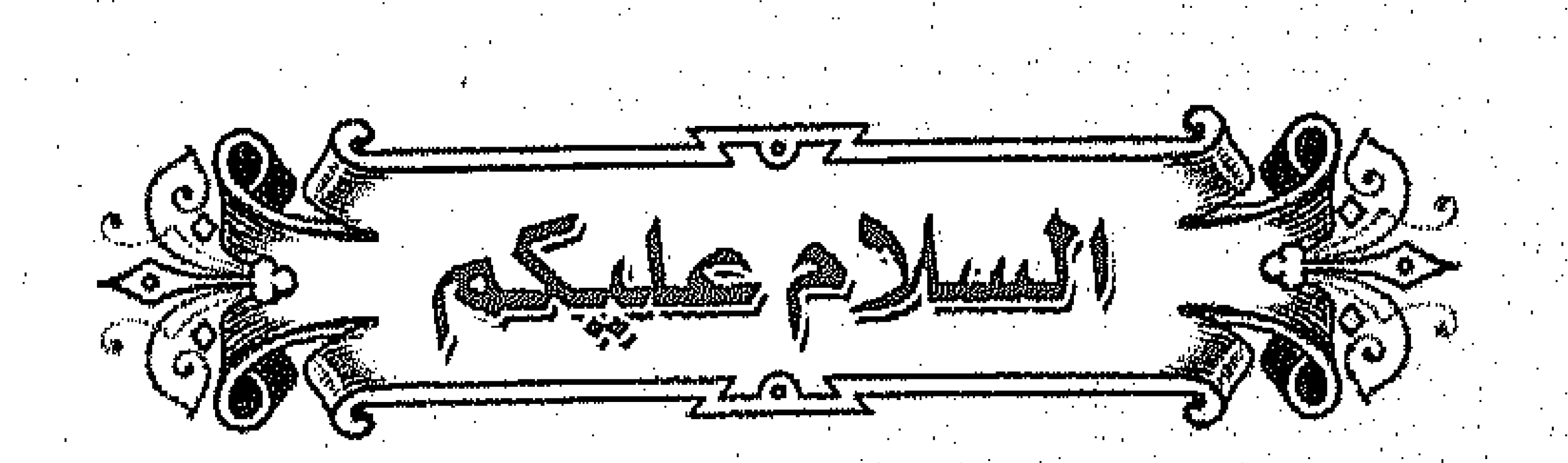
بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

مجلة التوحيد
إسلامية - ثقافية - شهرية
السنة السابعة والثلاثون
العدد ٤٤١ رمضان ١٤٢٩ هـ



وقفة حساب مع بداية شهر الصيام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

لقد أنعم الكريم على الأمة بتمام إحسانه، وعاد عليها بعظيم فضله وامتنانه، وجعل رمضان مخصوصاً بعميم غفرانه، ففتح فيه أبواب الجنان، وغلق فيه أبواب النيران، وصفَّد فيه مَرَدة الشيطان، فها هي أيام الإنابة فيها تُفتح أبواب الإجابة، أين اللائذ بالجناب ؟ أين الوجل من يوم الحساب؟ أين الباكي على ما جنى؟ أين المستغفر لأمر قد دنا؟ ألا رُبَّ مُعرضٍ عن سبيل رشده قد آن أوان شق لَحْدِه، ألاَّ رُبَّ مُقيم على جهله قد قرب رحيله عن أهله، ألا رُبَّ رافلٍ في ثوب شبابه قَدْ أَزَفَ فراقُهُ لأحبابه، أين المعتذر مما جناه؟ فقد اطلع عليه مولاه؟

أين الباكي على تقصيره قبل تحسره في مصيره؟ يا مطروداً ما درى تعاتب ولا تفهم ما جرى ؟ متى ترى على الباب ترى ..

تعالوا كل من حضرا
لنطرق بابه صخرا
ونبكي كلنا أسفًا
على من بات قد هجرا

وأسرة تحرير مجلة التوحيد تنتهز هذه المناسبة الجليلة لتتقدم بالتهنئة الحارة إلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

التحرير
٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩١٥٤٥٦
المركز العام
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية



رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

في هذا العدد

م دار "الجمهورية" للصحافة

ثمن النسخة

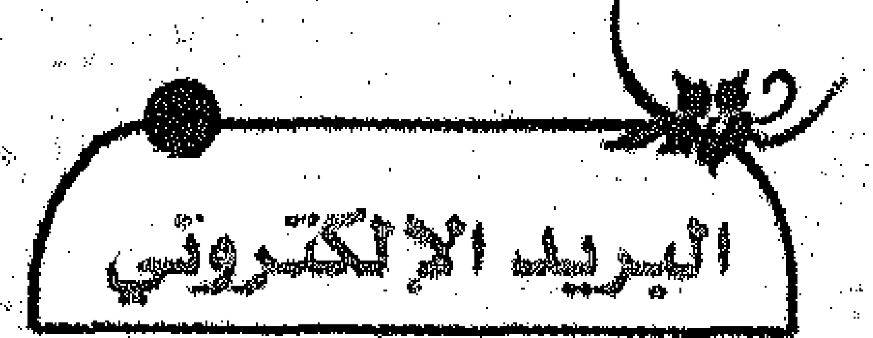
مصر ١٥٠قرشاً ، السعودية ٦ريالات، الإمارات ٦دراهم ، الكويت ٥٠٠فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠فلس ، قطر ٦ريالات ، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢دولار، أوروبا ٢يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢- في الخارج ٢٠دولاراً أو ٧٥ريالاً سعودياً أو ما يعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي -فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).



البريد الإلكتروني

المجلة :
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير :
GSHATEM@HOTMAIL.COM

التوزيع والاشتراكات :
SEE2070@HOTMAIL.COM

موقع المجلة على الإنترنت :
WWW.ALTAWHED.COM

موقع المركز العام :
WWW.ELSONNA.COM



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه... وبعد:

فإن الصوم من أفضل العبادات وأشرف القربات، أخرج أحمد والنسائي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي والطبراني في الكبير وعبد الرزاق في مصنفه عن رجاء بن حيوة عن أبي أمامة قال: انشأ رسول الله ﷺ غزوا فأتيته فقلت: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة، فقال: «اللهم سلمهم وغنمهم» قال: فسلمنا وغنمنا ثم أنشأ غزوة فأتيته، فقلت: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة، فقال: «اللهم سلمهم وغنمهم». قال: فسلمنا وغنمنا، ثم أنشأ غزوة ثالثة فقلت: يا رسول الله، إني أتيتك مرتين قبل مرتي هذه فسألتك أن تدعو الله لي بالشهادة فدعوت الله أن يسلمنا ويغنمنا فسلمنا وغنمنا يا رسول الله فادعو الله لي بالشهادة، فقال: «اللهم سلمهم وغنمهم» قال: فسلمنا وغنمنا. قال: ثم أتيته فقلت: يا رسول الله مرني بعمل لعلي أنتفع به؟ فقال: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له» قال: فما رؤي أبو أمامة ولا امرأته ولا خادمه إلا صياما. قال: فكان إذا رؤي في داره الدخان بالنهار قيل: اعتراهم ضيف نزل بهم نازل. قال: فلبثت بذلك ما شاء الله، ثم أتيته فقلت: يا رسول الله أمرتنا بالصيام وأرجو أن يكون الله قد بارك لنا فيه. يا رسول الله مرني بعمل آخر. فقال: «اعلم أنك لن تسجد لله سجدة إلا رفع الله لك بها درجة وحط عنك بها خطيئة».

في الحديث بيان الهمة العالية لأبي أمامة وحرصه على الخير ورغبته في الشهادة والموت في سبيل الله والحرص على العمل الصالح والتزام الأفضل من نوافل الطاعات وبيان فضيلة الصوم وأنه لا مثيل له في القربات.

قال الحافظ في فتح الباري: وَأَشَارَ ابن عَبْد الْبَرّ إِلَى تَرْجِيح الصِّيَام عَلَى غَيْره مِنْ الْعِبَادَات فَقَالَ: حَسْبُك بِكَوْنِ الصِّيَام جُنَّة مِنْ النَّار فَضْلاً وبقول النبي: «عَلَيْك بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لا مِثْل لَهُ». وَفِي رِوَايَة: «لَا عَدْل لَهُ» وَالْمَشْهُور عِنْد الْجُمْهُور تَرْجِيح الصَّلاة.

وقد ورد في هذا المعنى أحاديث صحيحة منها أنه ﷺ سئل عن أفضل الأعمال فقال: «إيمان بالله ورسوله ثم جهاد في سبيله ثم حج مبرور». وفي حديث آخر قال: «الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيله».

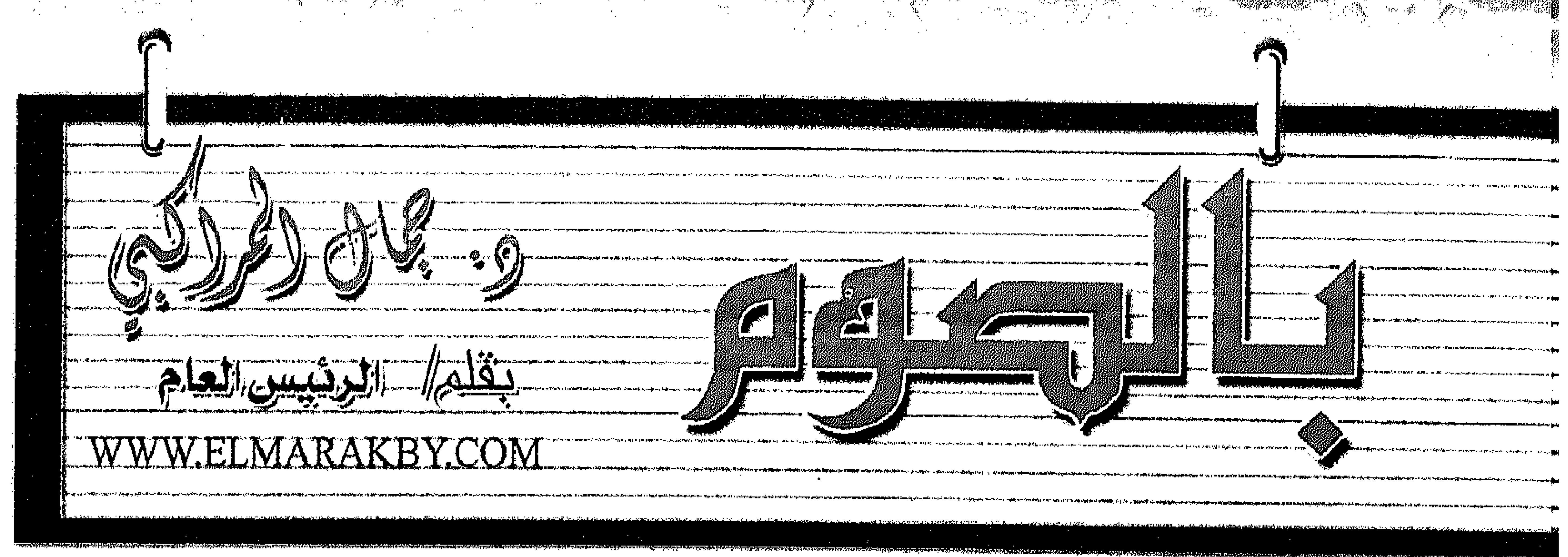
وفي آخر: «واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة». وحديث: أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصبر والسماحة» وقال لأبي أمامة: عليك بالصوم فإنه لا مُثل له .

فقيل في الجواب إن المراد أي من أفضل الأعمال النظائر وقيل إنه ﷺ أجاب كل سائل بحسب ما هو الأفضل في حقه و بحسب ما يناسبه والأصلح له وما يقدر عليه ويطيقه ولهذا وفق أهل العلم بين هذه الأحاديث بحمل اختلاف الإجابات على اختلاف أحوال السائلين، كما تختلف إجابات الطبيب الماهر للمرضى بحسب اختلاف أحوالهم.

ولكن لماذا كان الصوم بهذه المثابة حيث عده النبي ﷺ من أفضل العبادات وقال لأبي أمامة: «عليك بالصوم فإنه لا عدل له» والجواب: لأن الصوم قد تفرد بما يأتي:

فالصوم جُنة وحصن حصين من النار كما ثبت في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ».

وعَنْ أَبِي صَالِحٍ الزَّيَّاتِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَسْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا؛ إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ».



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيد الخدري- رضى الله عنهما- قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: إِنَّ الصَّوْمَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ إِنَّ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَيْنِ إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ اللَّهَ فَرِحَ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

قال ابن حجر في فتح الباري: قَوْله: «الصِّيَام جُنَّة». زَادَ سَعِيد بْن مَنْصُور عَنْ مُغِيرَة بْن عَبْد الرَّحْمَن عَنْ أَبِي الزِّنَاد «جُنَّة مِنْ النَّار» وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيث عَائِشَة مِثْله، وَلَهُ مِنْ حَدِيث عُثْمَان بْن أَبِي الْعَاص «الصِّيَام جُنَّة كَجُنَّة أَحَدكُمْ مِنْ الْقِتَال» وَلِأَحْمَد مِنْ طَرِيق أَبِي يُونُس عَنْ أَبِي هُرَيْرَة «جُنَّة وَحِصْن حَصِين مِنْ النَّار» وَلَهُ مِنْ حَدِيث أَبِي عُبَيْدَة بْن الْجَرَّاح «الصِّيَام جُنَّة مَا لَمْ يَخْرِقهَا» زَادَ الدَّارِمِيُّ «بِالْغِيبَة» وَبِذَلِكَ تَرْجَمَ لَهُ هُوَ وَأَبُو دَاوُد، وَالْجُنَّة بِضَمِّ الْجِيم الْوِقَايَة وَالسِّتْر. وَقَدْ تَبَيَّنَ بِهَذِهِ الرِّوَايَات مُتَعَلَّق هَذَا السِّتْر وَأَنَّهُ مِنْ النَّار، وَبِهَذَا جَزَمَ اِبْن عَبْد الْبَرّ. وَأَمَّا صَاحِب «النِّهَايَة» فَقَالَ: مَعْنَى كَوْنه جُنَّة أَيْ يَقِي صَاحِبه مَا يُؤْذِيه مِنْ الشَّهَوَات. وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: جُنَّة أَيْ سُتْرَة، يَعْنِي بِحَسَبِ مَشْرُوعِيَّته، فَيَنْبَغِي لِلصَّائِمِ أَنْ يَصُونهُ مِمَّا يُفْسِدهُ وَيَنْقُص ثَوَابه، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَة بِقَوْلِهِ: «فَإِذَا كَانَ يَوْم صَوْم أَحَدكُمْ فَلَا يَرْفُث إِلَخْ»، وَيَصِحّ أَنْ يُرَاد أَنَّهُ سُتْرَة بِحَسَبِ فَائِدَته وَهُوَ إِضْعَاف شَهَوَات النَّفْس، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَة بِقَوْله: «يَدَع شَهْوَته إِلَخْ»، وَيَصِحّ أَنْ يُرَاد أَنَّهُ سُتْرَة بِحَسَبِ مَا يَحْصُل مِنْ الثَّوَاب وَتَضْعِيف الْحَسَنَات. وَقَالَ عِيَاض فِي «الْإِكْمَال»: مَعْنَاهُ سُتْرَة مِنْ الْآثَام أَوْ مِنْ النَّار أَوْ مِنْ جَمِيع ذَلِكَ، وَبِالْأَخِيرِ جَزَمَ النَّوَوِيّ. وَقَالَ اِبْن الْعَرَبِيّ: إِنَّمَا كَانَ الصَّوْم جُنَّة مِنْ النَّار لِأَنَّهُ إِمْسَاك عَنْ الشَّهَوَات، وَالنَّار مَحْفُوفَة بِالشَّهَوَاتِ. فَالْحَاصِل أَنَّهُ إِذَا كَفَّ نَفْسه عَنْ الشَّهَوَات فِي الدُّنْيَا كَانَ ذَلِكَ سَاتِرًا لَهُ مِنْ النَّار فِي الْآخِرَة. وَفِي زِيَادَة أَبِي عُبَيْدَة بْن الْجَرَّاح إِشَارَة إِلَى أَنَّ الْغِيبَة تَضُرّ بِالصِّيَامِ، وَقَدْ حُكِيَ عَنْ عَائِشَة، وَبِهِ قَالَ الْأَوْزَاعِيّ: إِنَّ الْغِيبَة تُفْطِر الصَّائِم وَتُوجِب عَلَيْهِ قَضَاء ذَلِكَ الْيَوْم. وَأَفْرَطَ اِبْن حَزْم فَقَالَ: يُبْطِلهُ كُلّ مَعْصِيَة مِنْ مُتَعَمِّد لَهَا ذَاكِر لِصَوْمِهِ سَوَاء كَانَتْ فِعْلًا أَوْ قَوْلًا، لِعُمُومِ قَوْله: «فَلَا يَرْفُث وَلَا يَجْهَل» وَلِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيث الْآخَر: «مَنْ لَمْ يَدَع قَوْل الزُّور وَالْعَمَل بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَة فِي أَنْ يَدَع طَعَامه وَشَرَابه»، وَالْجُمْهُور وَإِنْ حَمَلُوا النَّهْي عَلَى التَّحْرِيم إِلَّا أَنَّهُمْ خَصُّوا الْفِطْر بِالْأَكْلِ وَالشُّرْب وَالْجِمَاع. وقد وردت معظم هذه الروايات التي أشار إليها الحافظ في مصنف ابن أبي شيبة حيث ترجم لها بعنوان: ما ذكر في فضل الصيام وثوابه

عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال أتيت عثمان بن أبي العاص فدعا لي بلبن لقحة فقلت إني صائم فقال أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال وصيام حسن صيام ثلاثة أيام من كل شهر». وعن هبيرة قال: قال عبد الله: الصوم جنة من النار كجنة الرجل إذا حمل من السلاح ما أطاق.

وعن عياض بن غطيف قال دخلنا على أبي عبيدة بن الجراح في مرضه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصوم جنة ما لم يخرقها».

ولأجل هذا كان السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان يحافظون على الصوم ويكثرون من التطوع فيه ويحفظون فيه الجوارح من اللغو والرفث.

روى ابن أبي شيبة في مصنفه باب ما يؤمر به الصائم من قلة الكلام وتوقي الكذب:

قال طليق بن قيس: قال أبو ذر: إذا صمت فتحفظ ما استطعت، وكان طليق إذا كان يوم صومه دخل فلم يخرج إلا لصلاة.

قال جابر: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمآثم ودع أذى الخادم وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء.

وعن أبي المتوكل أن أبا هريرة وأصحابه كانوا إذا صاموا جلسوا في المسجد.

و عن الشعبي قال: قال عمر: ليس الصيام من الطعام والشراب وحده ولكنه من الكذب والباطل واللغو والحلف.

وعن كثير بن هشام عن جعفر قال: سمعت ميمونا يقول: إن أهون الصوم ترك الطعام والشراب.

وعن الشعبي عن علي أن الصيام ليس من الطعام والشراب ولكن من الكذب والباطل واللغو.

وعن الشعبي عن مسروق أن عمر قال مثل ذلك.

وعن مجاهد قال خصلتان من حفظهما سلم له صومه الغيبة والكذب.

وعن الاعمش عن إبراهيم قال كانوا يقولون الكذب يفطر الصائم.

وعن أبي العالية قال الصائم في عبادة ما لم يغتب.

خلوف فم الصائم:

بِضَمِّ الْمُعْجَمَة وَاللَّام وَسُكُون الْوَاو بَعْدهَا فَاء. قَالَ عِيَاض: هَذِهِ الرِّوَايَة الصَّحِيحَة، وَبَعْض الشُّيُوخ يَقُولهُ بِفَتْحِ الْخَاء، قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَهُوَ خَطَأ، وَحَكَى الْقَابِسِيّ الْوَجْهَيْنِ، وَبَالَغَ النَّوَوِيّ فِي «شَرْح الْمُهَذَّب» فَقَالَ لا يَجُوز فَتْح الْخَاء، أَوَّله-، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْمُرَاد بِهِ تَغَيُّر رَائِحَة فَم الصَّائِم بِسَبَبِ الصِّيَام.

«أَطْيَب عِنْد اللَّه مِنْ رِيح الْمِسْك» اُخْتُلِفَ فِي كَوْن الْخُلُوف أَطْيَب عِنْد اللَّه مِنْ رِيح الْمِسْك.

قَالَ الْمَازِرِيّ: هُوَ مَجَاز لِأَنَّهُ جَرَتْ الْعَادَة بِتَقْرِيبِ الرَّوَائِح الطَّيِّبَة مِنَّا فَاسْتُعِيرَ ذَلِكَ لِلصَّوْمِ لِتَقْرِيبِهِ مِنْ اللَّه، فَالْمَعْنَى أَنَّهُ أَطْيَب عِنْد اللَّه مِنْ رِيح الْمِسْك عِنْدكُمْ أَيْ يُقَرَّب إِلَيْهِ أَكْثَر مِنْ تَقْرِيب الْمِسْك إِلَيْكُمْ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ اِبْن عَبْد الْبَرّ، وَقِيلَ الْمُرَاد أَنَّ ذَلِكَ فِي حَقّ الْمَلَائِكَة وَأَنَّهُمْ يَسْتَطِيبُونَ رِيح الْخُلُوف أَكْثَر مِمَّا يَسْتَطِيبُونَ رِيح الْمِسْك، وَقِيلَ الْمُرَاد أَنَّ اللَّه تَعَالَى يَجْزِيه فِي الْآخِرَة فَتَكُون نَكْهَته أَطْيَب مِنْ رِيح الْمِسْك كَمَا يَأْتِي الْمَكْلُوم وَرِيح جُرْحه تَفُوح مِسْكًا. وَقِيلَ الْمُرَاد أَنَّ صَاحِبه يَنَال مِنْ الثَّوَاب مَا هُوَ أَفْضَل مِنْ رِيح الْمِسْك لا سِيَّمَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْخُلُوف حَكَاهُمَا عِيَاض. وَقَالَ الدَّاوُدِيّ وَجَمَاعَة: الْمَعْنَى أَنَّ الْخُلُوف أَكْثَر ثَوَابًا مِنْ الْمِسْك الْمَنْدُوب إِلَيْهِ فِي الْجُمَع وَمَجَالِس الذِّكْر، وَرَجَّحَ النَّوَوِيّ هَذَا الْأَخِير، وَحَاصِله حَمْل مَعْنَى الطِّيب عَلَى الْقَبُول وَالرِّضَا.

وَقَدْ نَقَلَ الْقَاضِي حُسَيْن فِي تَعْلِيقه أَنَّ لِلطَّاعَاتِ يَوْم الْقِيَامَة رِيحًا تَفُوح. قَالَ فَرَائِحَة الصِّيَام فِيهَا بَيْن الْعِبَادَات كَالْمِسْكِ، وَيُؤَيِّد الثَّلَاثَة الْأَخِيرَة قَوْله فِي رِوَايَة مُسْلِم وَأَحْمَد وَالنَّسَائِيّ مِنْ طَرِيق عَطَاء عَنْ أَبِي صَالِح: «أَطْيَب عِنْد اللَّه يَوْم الْقِيَامَة» وَقَدْ تَرْجَمَ اِبْن حِبَّان بِذَلِكَ فِي صَحِيحه، ثُمَّ قَالَ: «ذِكْر الْبَيَان بِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ يَكُون فِي الدُّنْيَا» ثُمَّ أَخْرَجَ الرِّوَايَة الَّتِي فِيهَا «فَم الصَّائِم حِين يَخْلُف مِنْ الطَّعَام» وَهِيَ عِنْده وَعِنْد أَحْمَد مِنْ طَرِيق الْأَعْمَش عَنْ أَبِي صَالِح، وَيُمْكِن أَنْ يُحْمَل قَوْله: «حِين يَخْلُف» عَلَى أَنَّهُ ظَرْف لِوُجُودِ الْخُلُوف الْمَشْهُود لَهُ بِالطِّيبِ فَيَكُون سَبَبًا لِلطِّيبِ فِي الْحَال الثَّانِي فَيُوَافِق الرِّوَايَة الْأُولَى وَهِيَ قَوْله: «يَوْم الْقِيَامَة» لَكِنْ يُؤَيِّد ظَاهِره وَأَنَّ الْمُرَاد بِهِ فِي الدُّنْيَا مَا رَوَى الْحَسَن بْن سُفْيَان فِي مُسْنَده وَالْبَيْهَقِيّ فِي الشُّعَب مِنْ حَدِيث جَابِر فِي أَثْنَاء حَدِيث مَرْفُوع فِي فَضْل هَذِهِ الْأُمَّة فِي رَمَضَان، وَأَمَّا الثَّانِيَة «فَإِنَّ خُلُوف أَفْوَاههمْ حِين يُمْسُونَ أَطْيَب عِنْد اللَّه مِنْ رِيح الْمِسْك».

وَهَذِهِ الْمَسْأَلَة إِحْدَى الْمَسَائِل الَّتِي تَنَازَعَ فِيهَا اِبْن عَبْد السَّلَام وَابْن الصَّلَاح، فَذَهَبَ اِبْن عَبْد السَّلَام إِلَى أَنَّ ذَلِكَ فِي الْآخِرَة كَمَا فِي دَم الشَّهِيد وَاسْتَدَلَّ بِالرِّوَايَةِ الَّتِي فِيهَا «يَوْم الْقِيَامَة» وَذَهَبَ اِبْن الصَّلَاح إِلَى أَنَّ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَاسْتَدَلَّ بِمَا تَقَدَّمَ وَأَنَّ جُمْهُور الْعُلَمَاء ذَهَبُوا إِلَى ذَلِكَ، فَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: طِيبه عِنْد اللَّه رِضَاهُ بِهِ وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ. وَقَالَ اِبْن عَبْد الْبَرّ: أَزْكَى عِنْد اللَّه وَأَقْرَب إِلَيْهِ. وَقَالَ الْبَغَوِيّ: مَعْنَاهُ الثَّنَاء عَلَى الصَّائِم وَالرِّضَا بِفِعْلِهِ، وَبِنَحْوِ ذَلِكَ قَالَ الْقُدُورِيّ مِنْ الْحَنَفِيَّة وَالدَّاوُدِيّ وَابْن الْعَرَبِيّ مِنْ الْمَالِكِيَّة وَأَبُو عُثْمَان الصَّابُونِيّ وَأَبُو بَكْر بْن السَّمْعَانِيّ وَغَيْرهما مِنْ الشَّافِعِيَّة، جَزَمُوا كُلّهمْ بِأَنَّهُ عِبَارَة عَنْ الرِّضَا وَالْقَبُول، وَأَمَّا ذِكْر يَوْم الْقِيَامَة فِي تِلْكَ الرِّوَايَة فَلِأَنَّهُ يَوْم الْجَزَاء وَفِيهِ يَظْهَر رُجْحَان الْخُلُوف فِي الْمِيزَان عَلَى الْمِسْك الْمُسْتَعْمَل لِدَفْعِ الرَّائِحَة الْكَرِيهَة طَلَبًا لِرِضَا اللَّه تَعَالَى حَيْثُ يُؤْمَر بِاجْتِنَابِهَا، فَقَيَّدَهُ بِيَوْمِ الْقِيَامَة فِي رِوَايَة وَأَطْلَقَ فِي بَاقِي الرِّوَايَات نَظَرًا إِلَى أَنَّ أَصْل أَفْضَلِيَّته ثَابِت فِي الدَّارَيْنِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: «إِنَّ رَبّهمْ بِهِمْ يَوْمئِذٍ لَخَبِير» وَهُوَ خَبِير بِهِمْ فِي كُلّ يَوْم.

وَيَتَرَتَّب عَلَى هَذَا الْخِلَاف الْمَشْهُور فِي كَرَاهَة إِزَالَة هَذَا الْخُلُوف بِالسِّوَاكِ، والراجح ان السواك سنة مستحبة على كل حال.

وَيُؤْخَذ مِنْ قَوْله: «أَطْيَب مِنْ رِيح الْمِسْك» أَنَّ الْخُلُوف أَعْظَم مِنْ دَم الشَّهَادَة لِأَنَّ دَم الشَّهِيد شُبِّهَ رِيحه بِرِيحِ الْمِسْك، وَالْخُلُوف وُصِفَ بِأَنَّهُ أَطْيَب، وَلَا يَلْزَم مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُون الصِّيَام أَفْضَل مِنْ الشَّهَادَة لِمَا لا يَخْفَى.

قال الحافظ: وَقَدْ اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِي الْمُرَاد بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «الصِّيَام لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» مَعَ أَنَّ الأَعْمَال كُلّهَا لَهُ وَهُوَ الَّذِي يَجْزِي بِهَا عَلَى أَقْوَال: أَحَدهَا أَنَّ الصَّوْم لا يَقَع فِيهِ الرِّيَاء كَمَا يَقَع فِي غَيْره، حَكَاهُ الْمَازِرِيّ وَنَقَلَهُ عِيَاض عَنْ أَبِي عُبَيْد، وَلَفْظ أَبِي عُبَيْد فِي غَرِيبه: قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ أَعْمَال الْبِرّ كُلّهَا لِلَّهِ وَهُوَ الَّذِي يَجْزِي بِهَا، فَنَرَى وَاللَّه أَعْلَم أَنَّهُ إِنَّمَا خَصَّ الصِّيَام لِأَنَّهُ لَيْسَ يَظْهَر مِنْ اِبْن آدَم بِفِعْلِهِ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْء فِي الْقَلْب. وَيُؤَيِّد هَذَا التَّأْوِيل قَوْله ﷺ: «لَيْسَ فِي الصِّيَام رِيَاء» حَدَّثَنِيهِ شَبَابَة عَنْ عُقَيْل عَنْ الزُّهْرِيّ فَذَكَرَهُ يَعْنِي مُرْسَلًا قَالَ: وَذَلِكَ لِأَنَّ الأَعْمَال لا تَكُون إِلاَّ بِالْحَرَكَاتِ، إِلاَّ الصَّوْم فَإِنَّمَا هُوَ بِالنِّيَّةِ الَّتِي تَخْفَى عَنْ النَّاس، وَهَذَا وَجْه الْحَدِيث عِنْدِي، انْتَهَى.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: لَمَّا كَانَتْ الأَعْمَال يَدْخُلهَا الرِّيَاء وَالصَّوْم لا يَطَّلِع عَلَيْهِ بِمُجَرَّدِ فِعْله إِلاَّ اللَّه فَأَضَافَهُ اللَّه إِلَى نَفْسه، وَلِهَذَا قَالَ فِي الْحَدِيث «يَدَع شَهْوَته مِنْ أَجْلِي» وَقَالَ اِبْن الْجَوْزِيّ: جَمِيع الْعِبَادَات تَظْهَر بِفِعْلِهَا وَقَلَّ أَنْ يَسْلَم مَا يَظْهَر مِنْ شَوْب، بِخِلَافِ الصَّوْم. وَارْتَضَى هَذَا الْجَوَاب الْمَازِرِيّ وَقَرَّرَهُ الْقُرْطُبِيّ بِأَنَّ أَعْمَال بَنِي آدَم لَمَّا كَانَتْ يُمْكِن دُخُول الرِّيَاء فِيهَا أُضِيفَتْ إِلَيْهِمْ، بِخِلَافِ الصَّوْم فَإِنَّ حَال الْمُمْسِك شِبَعًا مِثْل حَال الْمُمْسِك تَقَرُّبًا يَعْنِي فِي الصُّورَة الظَّاهِرَة.

ثَانِيهَا أَنَّ الْمُرَاد بِقَوْلِهِ: «وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» أَنِّي أَنْفَرِد بِعِلْمِ مِقْدَار ثَوَابه وَتَضْعِيف حَسَنَاته. وَأَمَّا غَيْره مِنْ الْعِبَادَات فَقَدْ اِطَّلَعَ عَلَيْهَا بَعْض النَّاس. قَالَ الْقُرْطُبِيّ: مَعْنَاهُ أَنَّ الأَعْمَال قَدْ كُشِفَتْ مَقَادِير ثَوَابهَا لِلنَّاسِ وَأَنَّهَا تُضَاعَف مِنْ عَشْرَة إِلَى سَبْعمِائَةٍ إِلَى مَا شَاءَ اللَّه، إِلاَّ الصِّيَام فَإِنَّ اللَّه يُثِيب عَلَيْهِ بِغَيْرِ تَقْدِير. وَيَشْهَد لِهَذَا السِّيَاق الرِّوَايَة الأُخْرَى يَعْنِي رِوَايَة الْمُوَطَّأ، وَكَذَلِكَ رِوَايَة الأَعْمَش عَنْ أَبِي صَالِح حَيْثُ قَالَ «كُلّ عَمَل اِبْن آدَم يُضَاعَف الْحَسَنَة بِعَشْرِ أَمْثَالهَا إِلَى سَبْعمِائَة ضِعْف إِلَى مَا شَاءَ اللَّه- قَالَ اللَّه- إِلاَّ الصَّوْم فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» أَيْ أُجَازِي عَلَيْهِ جَزَاء كَثِيرًا مِنْ غَيْر تَعْيِين لِمِقْدَارِهِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَاب» انْتَهَى. وَالصَّابِرُونَ الصَّائِمُونَ فِي أَكْثَر الأَقْوَال. وَسَبَقَ إِلَى هَذَا أَبُو عُبَيْد فِي غَرِيبه فَقَالَ: بَلَغَنِي عَنْ اِبْن عُيَيْنَةَ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ، وَاسْتَدَلَّ لَهُ بِأَنَّ الصَّوْم هُوَ الصَّبْر لِأَنَّ الصَّائِم يُصَبِّر نَفْسه عَنْ الشَّهَوَات، وَقَدْ قَالَ اللَّه تَعَالَى: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَاب» انْتَهَى.

وَيُؤَيِّدهُ أَيْضًا الْعُرْف الْمُسْتَفَاد مِنْ قَوْله: «أَنَا أَجْزِي بِهِ» لِأَنَّ الْكَرِيم إِذَا قَالَ: أَنَا أَتَوَلَّى الإِعْطَاء بِنَفْسِي كَانَ فِي ذَلِكَ إِشَارَة إِلَى تَعْظِيم ذَلِكَ الْعَطَاء وَتَفْخِيمه.

ثَالِثهَا مَعْنَى قَوْله: «الصَّوْم لِي» أَيْ أَنَّهُ أَحَبّ الْعِبَادَات إِلَيَّ وَالْمُقَدَّم عِنْدِي، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْل اِبْن عَبْد الْبَرّ: كَفَى بِقَوْلِهِ: «الصَّوْم لِي» فَضْلًا لِلصِّيَامِ عَلَى سَائِر الْعِبَادَات وقوله: «عَلَيْك بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لا مِثْل لَهُ» لَكِنْ يُعَكِّر عَلَى هَذَا الْحَدِيث الصَّحِيح «وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْر أَعْمَالكُمْ الصَّلَاة».

رَابِعهَا: الإِضَافَة إِضَافَة تَشْرِيف وَتَعْظِيم كَمَا يُقَال بَيْت اللَّه وَإِنْ كَانَتْ الْبُيُوت كُلّهَا لِلَّهِ. قَالَ الزَّيْن بْن الْمُنَيِّر: التَّخْصِيص فِي مَوْضِع التَّعْمِيم فِي مِثْل هَذَا السِّيَاق لا يُفْهَم مِنْهُ إِلاَّ التَّعْظِيم وَالتَّشْرِيف.

خَامِسهَا: أَنَّ جَمِيع الْعِبَادَات تُوَفَّى مِنْهَا مَظَالِم الْعِبَاد إِلاَّ الصِّيَام، رَوَى ذَلِكَ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيق إِسْحَاق بْن أَيُّوب بْن حَسَّان الْوَاسِطِيّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ اِبْن عُيَيْنَةَ قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْم الْقِيَامَة يُحَاسِب اللَّه عَبْده وَيُؤَدِّي مَا عَلَيْهِ مِنْ الْمَظَالِم مِنْ عَمَله حَتَّى لا يَبْقَى لَهُ إِلاَّ الصَّوْم، فَيَتَحَمَّل اللَّه مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْ الْمَظَالِم وَيُدْخِلهُ بِالصَّوْمِ الْجَنَّة. قَالَ الْقُرْطُبِيّ: قَدْ كُنْت اِسْتَحْسَنْت هَذَا الْجَوَاب إِلَى أَنْ فَكَّرْت فِي حَدِيث الْمُقَاصَّة فَوَجَدْت فِيهِ ذِكْر الصَّوْم فِي جُمْلَة الأَعْمَال حَيْثُ قَالَ «الْمُفْلِس الَّذِي يَأْتِي يَوْم الْقِيَامَة بِصَلَاةٍ وَصَدَقَة وَصِيَام، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا وَأَكَلَ مَال هَذَا» الْحَدِيث وَفِيهِ «فَيُؤْخَذ لِهَذَا مِنْ حَسَنَاته وَلِهَذَا مِنْ حَسَنَاته، فَإِذَا فَنِيَتْ حَسَنَاته قَبْل أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتهمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّار» فَظَاهِرُهُ أَنَّ الصِّيَام مُشْتَرَك مَعَ بَقِيَّة الأَعْمَال فِي ذَلِكَ.

قلت (القائل ابن حجر): إِنْ ثَبَتَ قَوْل اِبْن عُيَيْنَةَ أَمْكَنَ تَخْصِيص الصِّيَام مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ يُسْتَدَلّ لَهُ بِمَا رَوَاهُ أَحْمَد مِنْ طَرِيق حَمَّاد بْن سَلَمَة عَنْ مُحَمَّد بْن زِيَاد عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَفَعَهُ «كُلّ الْعَمَل كَفَّارَة إِلاَّ الصَّوْم، الصَّوْم لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ فِي مُسْنَده عَنْ شُعْبَة عَنْ مُحَمَّد بْن زِيَاد وَلَفْظه «قَالَ رَبّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: كُلّ الْعَمَل كَفَّارَة إِلاَّ الصَّوْم» .

اللهم وفقنا لصيام رمضان وقيامه، والعمل الصالح فيه، واجعله خالصاً لوجهك الكريم. والله من وراء القصد.



الحمد لله، وفق من شاء للرضا والقناعة، وهداهم لسلوك سبيل أهل البر والطاعة، وحماهم عن طريق أهل التفريط والإضاعة، وبعد:

إن المتطلّع في واقع كثير من الناس، وَسْط أجواء المتغيرات المتكاثرة، والركام الهائل من المصائب والبلايا والنوازل والرزايا، ليلحظ بوضوح أن كثيرًا من النفوس المسلمة تواقةٌ إلى تحصيل ما يثبت قلوبها، وإلى النهل مما تطفئ به ظمأها، وتسقى به زرعها، وتجلو به صدأها، فهي أحوج ما تكون إلى احتضان ضيف كريم يحمل في جنباته مادة النماء فهي مشرئبة لحلوله، يُقطعها التلّهف إلى أن تطرح همومها وكدّها وكدحها عند أول عتبة من أعتابه بعد أن أنهكت قواها حلقات أحداث مترادفة بعضها يموج في بعض حتى غلت مراجلها، واشتدّ لهب أتُونها، فما برحت تأكل الأخضر واليابس، تفجع القلوب وتعكّر الصفوف، وتصطفق وسط زوابعها العقول والأفهام، ولأجل ذلك كان الناس بعامة أحوج ما يكون إلى حلول شهر الصيام والقيام، شهر ضياء المساجد، شهر الذكر والمحامد، شهر الطمأنينة ومحاسبة النفس، وإيقاظ الضمائر التي أوشكت أو توارى في الثرى.

محاسبة النفس... قبل فوات الأوان!!

ومع استهلال شهر المغفرة فلا بد للإنسان أن يقف مع نفسه وقفة صادقة متأنية، فوالله لتموتن كما تنامون، ولتُبعثنّ كما تستيقظون، ولتجزون بما كنتم تعملون، أفلا معتبر بما طوت الأيام من صحائف الماضين؟ وقَلّبت الليالي من سجلات السابقين؟ وما أذهبت المنايا من أماني المسرفين؟ كل نفس من أنفاس العمر معدود، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

هذه يد المنون تتخطف الأرواح من أجسادها، تتخطفها وهي راقدةٌ في منامها، تعاجلها وهي تمشي في طرقاتها، تقبضها وهي مكبة على أعمالها، تتخطفها وتعاجلها من غير إنذار أو إشعار: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

إنها الدنيا تُبكي ضاحكًا، وتضحك باكيًا، وتخيف آمنًا، وتُؤَمن خائفًا، وتُفْقِر غَنيًا، وتُغني فقيرًا، تتقلبُ بأهلها لا تبقي أحدًا على حال، العيش فيها مذموم، والسرور فيها لا يدوم، تُغيِّر صفَاءها الآفات، وتَفْجعُ فيها الرزايات، تسوق أهلها المنايا، لا يعرف حقيقة الدنيا بصفوها وأكدارها، وزيادتها ونقصها إلاَّ المحاسب نفسه، فمن صَفّى صُفّي له، ومن كَدّر كُدِّر عليه، ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله، ومن سرّه أن تدوم عافيته فليتق الله ربّه.

يقول الفضيل بن عياض- رحمه الله-: «من عرف أنه عبدٌ لله وراجعٌ إليه فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه

موقوف فليعلم أنه مسئول، ومن علم أنه مسئول فَلْيُعدَّ لكل سؤالٍ جوابًا، قيل: يرحمك الله فما الحيلة ؟ قال: الأمر يسير، تُحْسِنُ فيما بقي يُغْفَرُ لك ما مضى فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي.

والقلوب أربعة: قلب تَقي نقيٌ فيه سراجٌ منير فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف مظلم، فذلك قلبُ الكافر، ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]، وقلب مُرْتكسُ منكوس؛ فذلك قلب المنافق، عرف ثم أنكر، وأبصر ثم عمي، ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء: ٨٨]، وقلب تَمُدُّهُ مادتان؛ مادة إيمان، ومادة نفاق، فهو لما غلب عليه منهما وقد قال الله في أقوام: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

فاعلم أخي المسلم وأنت على أعتاب رمضان أن صاحب القلب الحي يغدو ويروح، ويمسي ويصبح، وفي أعماقه حسٌ ومحاسبة لدقات قلبه، وسماع أذنه، وحركة يده، وسير قدمه، إحساس بأن الليل يُدْبر، والصبح يتنفس، والكونُ في أفلاكه يسبح بقدرة العليم وتدبير الحكيم: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [لقمان: ٢٩].

أصحاب القلوب الحية صائمون قائمون خاشعون قانتون، شاكرون على النعماء، صابرون في البأساء، لا تنبعث جوارحهم إلا بموافقة ما في قلوبهم، تجردوا من الأثرة والغش والهوى، اجتمع لهم حسن المعرفة مع صدق الأدب، وصفاء وسخاء النفس مع مظانة العقل، هم البريئة أيديهم، الطاهرة صدورهم، متحابون لجلال الله، يغضبون لحرمات الله، أمناء إذا ائتمنوا، عادلون إذا حكموا، منجزون ما وعدوا، موفون إذا عاهدوا، جادون إذا عزموا، يهشون لمصالح الخلق، ويضيقون بآلامهم، في سلامة من الغل وحسن ظنٍ بالخلق.

أصحاب القلوب الحية صائمون قائمون خاشعون قانتون، شاكرون على النعماء، صابرون في البأساء، لا تنبعث جوارحهم إلا بموافقة ما في قلوبهم، تجردوا من الأثرة والغش والهوى

قلوب عليها غشاوة !!

وإذا كنا نستقبل رمضان فنحن في أشد ما تكون الحاجة إلى طهارة القلوب.. وإزالة ما علق بها من شوائب الحياة الدنيا، ولا عجب في أنَّ طهارة مثل هذه القلوب وزكاتها لا تقف عند هذا الحد فحسب، بل إنه متى رأى أذى أو بلاءً يلحق أحدًا من المسلمين أو يَحلُّ قريبًا من داره أسف لحاله، وتمنى له الفرج والغفران من الله، فلا يلبث أن تُسارِعه سلامة قلبه، ولسان حالها يقول ما يقولُه من رأى مُبتلى: «الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً». [الترمذي، وصححه الألباني].

إن ديننا الحنيف لَيتحسَّس نُفُوس الناس بين الفينة والأخرى، ليغسلها بالماء الزُّلال من أدران الغشش ودخنه، وليُزكي فيها مشاعر الزكاء والنقاء، فإن من سلم قلبه واتَّسَعَ صدرهُ للناس ونصح لهم وأشفق عليهم، وكان مظهره دلالة على مخبره، فإنه سيلقى له القبول عند الناس، عدوُّهم قبل صديقهم، لأنه لا يعرف لحظ النفس سبيلاً، ولا للانتقام وحب الانتصار دليلاً، ثم إن للقلب السليم مذاقًا وحلاوة لا يعرفها إلا من طعمها، وشتان بين قلب سليم، وقلب مليءٌ بالغل والوساوس، وإعمال الفكر في إدراك الانتصار للذات.

ويُسطرُ لنا شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- كلمات ينبغي أن تُدَوَّن في قلب كل مؤمن ناصح، إذ يتحدث لأصحابه عن خصومه، وقد لاقى منهم ما لاقاه من الأذى والحسد والمنازعة، فيقول: «تعلمون- رضي الله عنكم جيمعًا- أني لا أحب أن يؤذى أحدٌ من عموم المسلمين فضلاً عن أصحابنا بشيء أصلاً لا باطنًا ولا ظاهرًا، ولا أحب أن أنتصر من أحد بسبب كذبه عليَّ أو ظلمه وعُدوانه فإني قد أحللت كلَّ مُسلم، وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكلِّ مؤمنٍ من الخير ما أحبه لنفسي، والذين كذبوا وظلموا منهم في حل من جهتي». [مجموع الفتاوى ٢٨/٥٥].

إن ديننا الحنيف ليتحسس نفوس الناس بين الفينة والأخرى، ليغسلها بالماء الزلال من أدران الغشش ودخنه، وليزكي فيها مشاعر الزكاء والنقاء، فإن من سلم قلبه واتسع صدره للناس ونصح لهم وأشفق عليهم، وكان مظهره دلالة على مخبره، فإنه سيلقى له القبول عند الناس

ترك المرء ما لا يعنيه!!

ونحن نستقبل شهر الخيرات فإننا نتذكر ونعي جيدًا أن من حُسْنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. وفي «المسند» عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه».

وفي «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت».

وقال عز وجل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

إن الترفع عن الخوض فيما لا يعني لمن تمام العقل، كما أنه يورث نور القلوب والبصائر، ويثمر راحة البال، وهدأة النفس، وصفاء الضمير مع توفيق الله تعالى للعبد، إنها طهارة الروح وسلامة الصدر.

إن الاشتغال بما لا يعني ينتج قلة التوفيق وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب، وإضاعة الوقت، وحرمان العلم، وضيق الصدر، وقسوة القلب، وطول الهمّ والغمِّ وكَسَف البال، ومحق البركة في الرزق والعمر، وإن أعظم الربح في الدنيا أن تشغل نفسك كلّ وقت بما هو أَوْلى بها وأنفع لها في معادها.

وقد كان السلف- رحمهم الله- يكرهون الخوض فيما لا يعني، ويمنعون أحدًا أن يغتاب أحدًا في مجالسهم، حرصًا على سلامة صدورهم، وصيانة لأعمالهم.

إن الحديث عن الآخرين وتتبع سقطاتهم وإشاعتها، والفرح بها لِمن أقبح المعاصي أثرًا وأكثرها إثمًا، ولا يموت مقترفها حتى يُبتلى: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه». [رواه مسلم].

فكيف إذا كانت مسائل هوى، ونزاع طيش على هوى وحبًّ غلبة ورغبة استعلاء، وإرادة خفضٍ للآخرين؟!

تتبع العورات.. وتلمُّس العثرات!!

ومع استقبال نسائم الطاعات وحلول شهر الخيرات فإننا نرى من المآسي والأهوال ما يجعلنا نرتعد لنقف مع أنفسنا وقفة متأنية مع ما نراه من تفشي مظاهر التقاطع والتدابر، والنفرة والتهاجر، وانتشار لوثات التعالي، والجفاء والتباغض، والشحناء في هوى مُطاع وشُحٍّ متبع، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورفع لراية الشائعات المغرضة والأخبار المكذوبة الملفقة، وتلمس العيوب للبرآء، وتضخيم الهنات للعلماء، وتتبع المثالب للصلحاء، وانتقاص مقامات الفضلاء النبلاء، حتى إن الغيور لينتابه شعورٌ بالإحباط، وهو يرى هذه المظاهر السوداوية القاتمة تنتشر في دنيا الناس انتشار النار في الهشيم، فلا يستطيع لها تفسيرًا، ولا يجد لها مساغًا أو تبريرًا، يكون شمعة يحرق نفسه ليضيء للآخرين، ومع ذلك يجد أن هناك لصوصًا يتمسحون بالأجواخ، ويتسلقون على الأكتاف للوصول إلى مآربهم الشخصية ومصالحهم الذاتية، ومطامعهم المادية دون وازع من دين أو خُلق أو ضمير، مَرَدوا على الأحابيل والدنايا، ودأبوا على المكر وسوء النوايا، لا يتلذذون إلا بالنيل والإساءة للناجحين، والثلب في الصالحين، والتقليل من شأن العاملين، وتنفير الناس منهم والعمل على الإساءة إليهم، والوقيعة بهم، بتلفيق الطعون والاتهامات، ونشر الأراجيف والشائعات، في حروب اجتماعية طاحنة، وضغوط نفسية قاتلة.

ومن العجيب مسارعة بعض الدهماء إلى تصديق هؤلاء كضربة لازب، بل إنك لتستغرب حال كثير ممن يروِّجون فتنة القول على عواهنه، ولا ينتهي عجبك وأنت ترى أن بعضهم قد يُشارُ إليه بعلم أو فضل أو صلاح أو مكانة، وكأنهم لم تطرق أسماعهم آية الحجرات المدوِّية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]،

وفي قراءة حمزة والكسائي: «فتثبتوا». وقوله ﷺ في الحديث الصحيح عند مسلم وغيره: «كفى بالمرء كذبًا أن يُحدث بكل ما سمع».

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول: «حتى إن الرجل ليشار إليه بالزهد والدين والعبادة، ولسانه يفري في لحوم الأحياء والأموات وهو لا يبالي بما يقول». بل إن منهم من لا يتورع عند التدخل في خصوصيات الآخرين.

وفي أتون هذه المظاهر القاتمة ينبغي أن تُعلي رايات المنهج الأخلاقي المتميز الذي ينضح بنبل الشمائل والخلال، وعريق السجايا والخصال، إنصافٌ لا اعتساف، ائتلاف لا اختلاف، تناصح لا تفاضح، تسامحٌ لا تناطح، صفاءٌ لا جفاء، تناصر لا تنافر، تجاوز لا تناحر، تناظم لا تصادم، اتفاق لا افتراق، اعتصام لا خصام، اجتماع لا نزاع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث». [رواه البخاري ومسلم].

وعند البيهقي وغيره: «أن الله حرَّم دم المسلم وعرضه وأن تظن به ظن السوء». [حسنه الألباني].

أفيقوا أهل الغفلة!!

ومع اقتراب شهر المغفرة والتوبة فإننا نقول لأهل الغفلة: إن أعماركم عليكم حجة، وأيامكم تقودكم إلى شقوة، فكيف ترجى الآخرة بغير عمل؟ أم كيف ترجى التوبة مع الغفلة والتقصير وطول الأمل؟

فويل لأهل الغفلة إن أعطوا لم يشبعوا، وإن منعوا لم يقنعوا، يأمرون بما لا يفعلون، ينهون وهم لا ينتهون، هم للناس لوامون ولأنفسهم مداهنون، فهذه الدنيا كم من واثق فيها فَجَعَتْهُ؟! وكم من مُطمئن إليها صرعته؟! وكم من مختال فيها خدعَتْهُ، وكم من محتال أصبح فقيرًا؟! وذي نخوةٍ أردته ذليلاً؟ سلطانها دول، وحُلْوُها مُر، وعذبها أجاج، وعزيزها مغلوب، العمرُ فيها قصير، والعظيم فيها يسير، وجودها إلى عدم، وسرورها إلى حزن، وكثرتها إلى قلة، وعافيتها إلى سُقْم، وغناها إلى فقر.

أهل الغفلة لا يشبعون مهما جمعوا، ولا يُدْركون كلَّ ما أمَلُوا ولا يحسنون الزاد لما عليه قد أقدموا، يجمعون ولا ينتفعون، ويبنون ما لا يَسْكُنُون ويأملون، ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

وايْمُ اللَّه ليوشكن الباقي منا ومنكم أن يبلى، والحي منا ومنكم أن يموت، وأن تُدَالَ الأرض مناكما أدلنا منها، فتأكُلَ لحومنا وتشرب دماءنا، كما مشينا على ظهرها وأكلنا من ثمرها، وشَرِبْنا من مائها، ثم تكون كما قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وليتأمل الزائر حال من مضى من أقرانه، أكثروا الآمال وجمعوا الأموال، انقطعت آمالهم ولم تُغن عنهم أموالهم، أفنى التُّراب محاسن وجوههم، وتفرَّقت في القبور أشلاؤهم، وترملت من بَعْدهم نساؤهم، وقُسمَت أموالهم: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، فهل تعتبرون؟!

اللهم اجعل رمضان مغفرة لنا من الذنوب والآثام، وبلغنا رمضان أعوامًا وأعوام، وتقبل منا، واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا، وأنت على كل شيء قدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ومع استقبال نسائم الطاعات وحلول شهر الخيرات فإننا نرى من المآسي والأهوال ما يجعلنا نرتعد لنقف مع أنفسنا وقفة متأنية مع ما نراه من تفشي مظاهر التقاطع والتدابر، والنفرة والتهاجر وانتشار لوثات التعالي، والجفاء والتباغض، والشحناء في هوى مُطاع وشح مُتبع، وإعجاب كل ذي رأي برأيه،

باب التفسير

سورة الليل

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي

يقول تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١)
وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ
وَالأُنْثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) فَأَمَّا مَنْ
أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦)
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ
وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩)
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ
مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢)
وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى (١٣) فَأَنْذَرْتُكُمْ
نَارًا تَلَظَّى (١٤) لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى
(١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا
الأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨)
وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلاَّ
ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ
يَرْضَى﴾ [سورة الليل].

بين يدي السورة

سورةٌ مكية، اسْتُفتحت بالقسم من الله تعالى على اختلاف سعي الناس في هذه الحياة، ثم أنذر الله عباده ناره الحامية، وبين كيف يتقونه.

تفسير الآيات

يُقْسِمُ الله تعالى بالليلِ إذا يَغشى الكون بظلامه عند مجيئه، وبالنهار إذا تجلى بضيائه وإشراقه، فأزاح عتمة الليل، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾ أي: أقسم بالله العظيم الذي خَلَق بقدرته الذكر والأنثى من ماءٍ واحد، كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠] ؟ سبحانك بلى.

وجوابُ القسم: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ يعني: إن سَعيكم لمختلفٌ. مختلفٌ في حقيقته، مختلفٌ في بواعثه، مختلفٌ في نتائجه، فمنكم المؤمن والكافر، والبارُّ والفاجر، والمطيعُ والعاصي، والجوادُ والبخيل، ومنكم من يَسْعَى في فِكَاكِ نَفْسِه وعِتْقِها، ومنكم من يَسْعَى في عَطبها، كما قال النبي ﷺ: «كلُّ الناس يغدو، فبائعُ نفسه، فمعتقها أو موبقها».

قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ حقّ السائل والمحروم، ﴿وَاتَّقَى﴾ البخل والشح، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، وهي الجنة، وأن الله يُخْلفُ عليه

خيرًا مما أنفق وأعطى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩]، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ حتى يصير فعلَ الخير عليه يسيرًا، لا يجد مشقة في فعله، ولا يجد حرجًا منه، فيكون دائمًا مسارعًا إلى طاعة الله، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بماله، فلم يُعْطِ حقّ الفقراء والمساكين، ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ عن ربّه، لظنه أنّ الغني يكفيه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٦، ٧]، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ فلم يثقْ بوعد الله أن يُخلفَ عليه إذا أنفق، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ فتكون الطاعةُ عليه عسيرةً، وفعلُ الخير عليه شاقًا، بينما المعصيةُ عليه بخلاف ذلك، فهو دائمًا سريعًا إلى معصية الله، بطيئًا عن طاعته، وفي هذه الآيات إشارةٌ إلى أن للإنسان إرادة يحاسبه الله بناءً عليها، فمن أراد الطاعة وأحبها يُسّر لها، ويُسّرَتْ عليه، ومَنْ أرادَ المعصية وسعَى لها سَعْيها يُسر لها، ويُسرتْ عليه: «وكلّ ميسر لما خُلِقَ له».

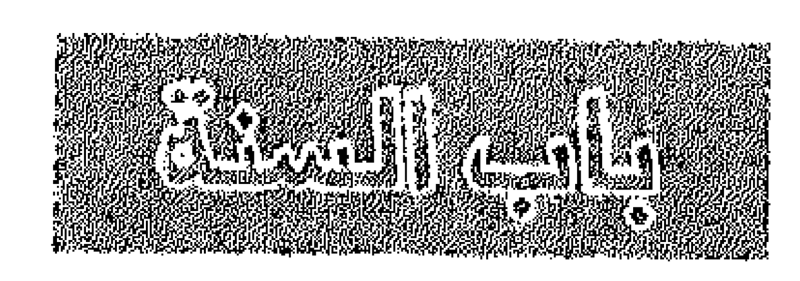
وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ يعني: أنّ هذا الذي بَخِلَ واستغنى، إذا تردّى في جهنم لن يُغْني عنه ماله الذي حَرَصَ عليه وعدّده- من العذاب شيئًا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦) يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦، ٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩].

يقول تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ أي: نبيّن للناس الحلال والحرام، وطريق الخير وطريق الشر، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]، وقد فعل سبحانه، فأرسل رسُله مبشرين ومنذرين، وأنزل كتبه فيها هدًى ونورٌ، فتحققت الهداية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢، ٣]، وقال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى﴾ يعني أنه سبحانه له الأمر في الأولى والآخرة، وهو الذي بيده ملكوتُ كلّ شيء، يُعْطي من يشاء ويمنع من يشاء، ويعزّ من يشاء ويذل من يشاء، ويوفّق من يشاء، ويَخْذُلُ من يشاء، ويهدي من يشاء، ويضلُّ من يشاء، فمن أرادَ الدنيا فليطلبها من الله، ومن أراد الآخرة فليطلبها من الله ؛ لأنّ له سبحانه الآخرة والأولى، كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [النساء: ١٣٤]، فاطلب حوائجك كلها من الله يا عبد الله، ولا تجعل الدنيا أكبر همك، سَل الله عز وجل ثواب الدنيا والآخرة، ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٠-٢٠٢].

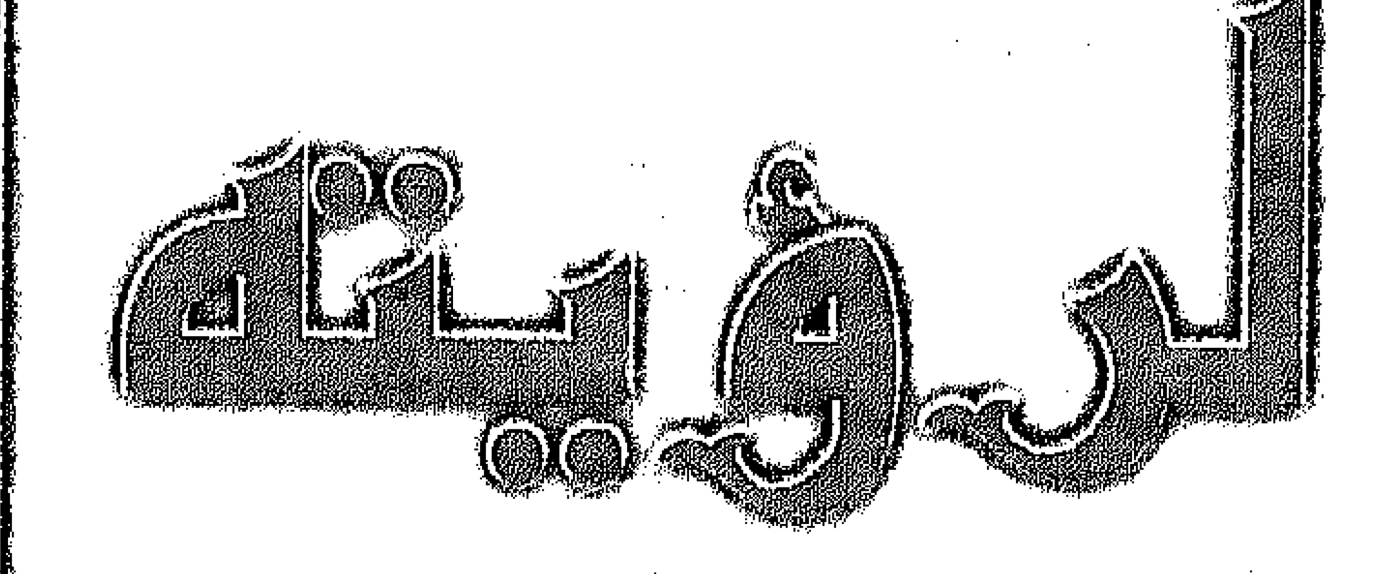
وقوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ أي: تتوهج، والإنذار هو الإعلام مع التخويف، فكل إنذارٍ إعلام، وليس كل إعلام إنذارًا، وإنما أنذر الله العباد ليعملوا على وقاية أنفسهم من هذه النار الحامية، التي فُضِّلَتْ على نار الدنيا بتسعة وستين جزءًا، كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه. والتي أهون أهلها عذابًا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغُه، كما أخبر النبي ﷺ.

وقد أمر الله المؤمنين صراحة أن يقوا أنفسهم هذه النار، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وقوله تعالى: ﴿لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى﴾ أي: لا يدخلها دخولاً بحيث تحيط به من كل جانب إلا الأشقى، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]، ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦]، ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، ثم فسّر الأشقى الذي يصلاها، فقال: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ أي: كذب النبي ﷺ وكذب بالحق الذي جاء به، وتولى عن النبي ﷺ وأعرض عنه، وقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى﴾ أي: سيُزحزح عن النار وينجو منها ومن حرّها الأتقى، وذلك أن الناس كلهم يردُون النار، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًا﴾ [مريم: ٧١]، والورودُ معناه الدخول، وكلُّ ورودٍ للنار في القرآن فمعناه دُخُولُها، كما قال تعالى عن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨، ٩٩]، وذلك الورودُ المذكورُ في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ أي: داخلها، وذلك أنّ الصراط يُنصب في وسط جهنم، ثم يجوز الناس، فالأشقى تتخطفه الكلاليب فتصلاه جهنم، والأتقى يُزحزح عنها فلا تمسه، بل تكون عليه بردًا وسلامًا: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، وقال هنا: ﴿لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى﴾، ثم فسّره بقوله: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ أي: يُنفق في سبيل الله، يزكي نفسه بالنفقة، كما سبق بيانه في سورة الشمس عند قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾. وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ يعني أنه لا يُنفق مكافأةً ولا جزاءً، فإنّ الناس في الإنفاق: منهم مَن يُنفقُ ينتظر المكافاة بأحسنَ مما أنفق أو بمثله، ومنهم من ينفق مكافأةً وجزاءً لمن أنفق عليه، ومنهم من ينفق رياءً وسمعةً، ومنهم ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾، وذلك الأتقى الذي يجنب النّار يوم القيامة، ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ في الدنيا عن ربه، وعن دينه وعن سعيه، ولسوف يرضى في اليسر والعسر، والمنشط والمكره، والشدّة والرخاء، والعافية والبلاء، سوف يكون دائمًا راضيًا، آمنًا مطمئنًا، لا يقلق ولا ينزعج، ولا يستعجل النتائج ؛ لأنه قد رضي بربه ورضي عنه، ولسوف يرضى في الآخرة حين يلقى الله عز وجل، ونرجو أن يجعلنا اللهُ هذا الرجل.

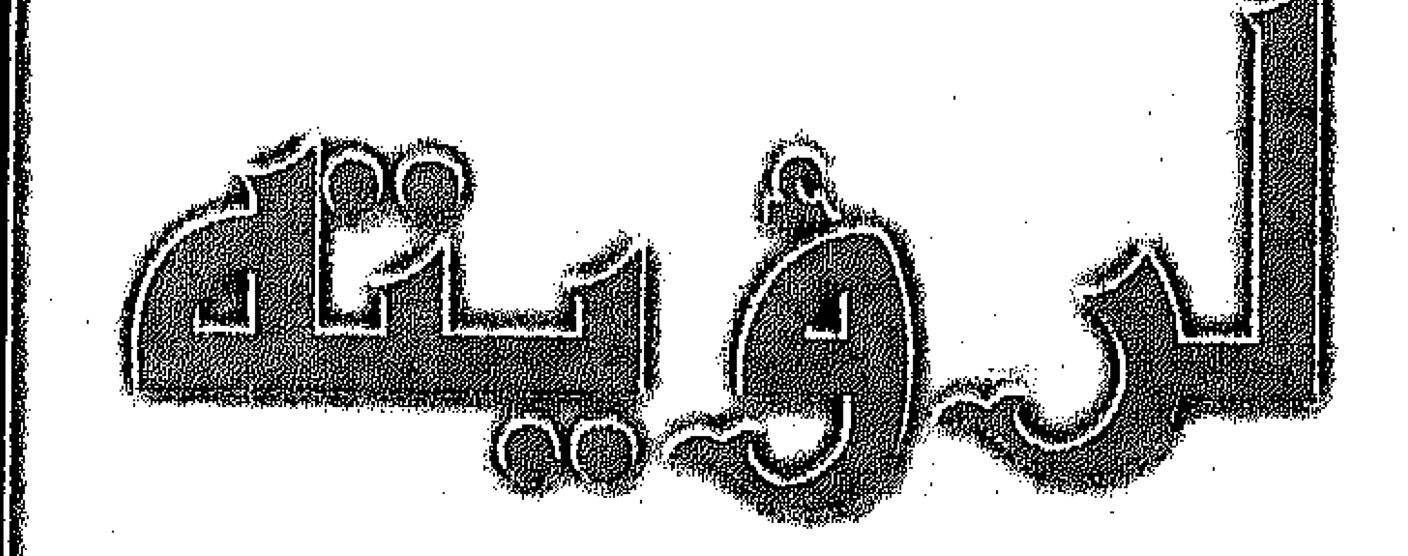




صوموا







إعداد/ زكريا حسيني محمد



الحمد لله رب العالمين مولج الليل في النهار ومولج النهار في الليل، يقلب الليل والنهار، بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على نبي الهدى محمد بن عبد الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

١- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان، فقال: «لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فاقدروا له». [متفق عليه: البخاري ١٩٠٦، ومسلم: ١٠٨٠].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ، أو قال: قال أبو القاسم ﷺ: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غُبِّيَ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين». [متفق عليه: البخاري: ١٩٠٩، ومسلم: ١٠٨١].

٣- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الشهر تسع وعشرون ليلة، فلا تصوموا حتى تروه، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين». [متفق عليه: البخاري: ١٩٠٧، ومسلم: ١٠٨٠].

٤- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن حال بينكم وبينه سحاب فكملوا العدة ثلاثين، ولا تستقبلوا الشهر استقبالاً». [رواه أحمد والنسائي والترمذي بمعناه، وصححه].



وفي لفظ للنسائي: «فأكلموا العدة؛ عدة شعبان».

وفي لفظ لأبي داود: «لا تقدموا الشهر بصيام يوم ولا يومين، إلا أن يكون شيئًا يصومه أحدكم، ولا تصوموا حتى تروه، ثم صوموا حتى تروه، فإن حال دونه غمامة فأتموا العدة ثلاثين ثم أفطروا».

٥- عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظه من غيره، يصوم لرؤية رمضان، فإن غم عليه عدَّ ثلاثين يومًا، ثم صام. [رواه أحمد وأبو داود والدارقطني، وقال: إسناده حسن صحيح].

٦- عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقدموا الشهر حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة، ثم صوموا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة». [رواه أبو داود والنسائي].

الصوم برؤية الهلال

قال الإمام ابن القيم في «زاد المعاد»: «وكان من هديه ﷺ أن لا يدخل في صوم رمضان إلا برؤية محققة، أو بشهادة شاهد، كما صام بشهادة ابن عمر، وصام مرة بشهادة أعرابي، واعتمد على خبرهما، ولم يكلفهما لفظ الشهادة».

قُلْتُ: قال محقق «زاد المعاد» (شعيب الأرناؤوط) بخصوص صومه ﷺ بشهادة ابن عمر: أخرج أبو داود في الصوم باب شهادة الواحد، والدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تراءى الناس الهلال، فأخبرت رسول الله ﷺ أني رأيته، فصامه وأمر الناس بصيامه. قال: وسنده قوي، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي.

وقال عن شهادة الأعرابي: أخرج أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وابن خزيمة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت الهلال، فقال: «أتشهد أن لا إله إلا الله ؟ أتشهد أن محمدًا رسول الله؟» قال: نعم، قال: «يا بلال، أذن في الناس أن يصوموا غدًا».

قال ابن القيم: فإن كان ذلك إخبارًا فقد اكتفى في رمضان بخبر الواحد، وإن كان شهادة فلم يكلف الشاهد لفظ الشهادة في دخول رمضان، فإن لم تكن رؤية ولا شهادة أكمل عدة شعبان ثلاثين يومًا.

وكان إذا حال ليلة الثلاثين دون منظره غيم أو سحاب، أكمل عدة شعبان ثلاثين يومًا، ثم صامه، ولم يكن ﷺ يصوم يوم الإغمام، ولا أمر به، بل أمر بأن تكمل عدة شعبان ثلاثين إذا غُمَّ، وكان يفعل كذلك، فهذا فعله وهذا أمره، ولا يناقض هذا قوله ﷺ: «فإن غم عليكم فاقدروا له»، فإن القدر هو الحساب المقدر، والمراد به هو الإكمال؛ كما قال ﷺ: «فأكملوا العدة»، والمراد بالإكمال إكمال عدة الشهر الذي غم، كما قال في الصحيح الذي رواه البخاري: «فأكملوا عدة شعبان». وقال: «لا تصوموا حتى تروه ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فأكملوا العدة». والذي أُمر بإكمال عدته هو الشهر الذي يُغَمُّ، وهو عند صيامه وعند الفطر منه، وأصرح من هذا قوله ﷺ: «الشهر تسعة وعشرون، فلا تصوموا حتى تروه، فإن غُمَّ عليكم فأكملوا العدة».

وهذا راجع إلى أول الشهر بلفظه وإلى آخره بمعناه، فلا يجوز إلغاء ما دل عليه لفظه، واعتبار ما دل عليه من جهة المعنى. وقال: «الشهر ثلاثون، والشهر تسعة وعشرون، فإن غُم عليكم فعدوا ثلاثين». وساق ابن القيم رحمه الله تعالى كثيرًا من النصوص في هذا المعنى، وهي تدل دلالة واضحة على اعتبار رؤية الهلال لدخول رمضان والخروج منه، وأن ما يفهمه البعض من قوله ﷺ: «فاقدروا له» أنه العمل بالحساب الفلكي فهم غير مستقيم، وإنما النصوص يفسر بعضها بعضًا.

حكم صيام يوم الشك

قال الحافظ ابن حجر في الفتح في شرحه لهذه الأحاديث: وقد بوب البخاري لها بقوله: (باب قول النبي ﷺ: إذا رأيتم الهلال فصُوموا)، قال: هذه الترجمة لفظ مسلم من رواية إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سعيد عن أبي هريرة، وقد سبق للمصنف في أول الصيام من طريق ابن شهاب عن سالم عن أبيه بلفظ: «إذا رأيتموه». وذكر البخاري في



الباب أحاديث تدل على نفي صوم يوم الشك رتبها ترتيبًا حسنًا، فصدرها بحديث عمار المصرح بعصيان من صامه- وقد علقه البخاري عقب الترجمة- ثم بحديث ابن عمر من وجهين؛ أحدهما بلفظ: «فإن غُم عليكم فاقدروا له». والآخر بلفظ: «فأكملوا العدة ثلاثين»، وقصد بذلك بيان المراد من قوله: «فاقدروا له»، ثم استظهر بحديث ابن عمر أيضًا: «الشهر هكذا وهكذا حبس الإبهام في الثالثة»، ثم ذكر شاهدًا من حديث أبي هريرة لحديث ابن عمر مصرحًا بأن عدة الثلاثين المأمور بها تكون من شعبان.

ثم قال ابن حجر رحمه الله: قوله: «فقد عصى أبا القاسم» استدل به على تحريم صوم يوم الشك؛ لأن الصحابي لا يقول ذلك من قبل رأيه فيكون من قبيل المرفوع. قال ابن عبد البر: هو مسند عندهم لا يختلفون في ذلك. وخالفهم الجوهري المالكي فقال: هو موقوف. والجواب أنه موقوف لفظًا مرفوع حكمًا.

قال الطيبي: إنما أتى بالموصول ولم يقل يوم الشك مبالغة في أن صوم يوم فيه أدنى شك سبب لعصيان صاحب الشرع، فكيف بمن صام يومًا الشك فيه قائم ثابت، قال: وقوله: «أبا القاسم». قيل: فائدة تخصيص ذكر هذه الكنية الإشارة إلى أنه هو الذي يقسم بين عباد الله أحكامه زمانًا ومكانًا وغير ذلك.

وجوب الصوم بالرؤية

قال ابن حجر: قوله: «لا تصوموا حتى تروا الهلال» ظاهره إيجاب الصوم حين الرؤية متى وجدت ليلاً أو نهارًا، لكنه محمول على صوم اليوم المستقبل، وبعض العلماء فرق بين ما قبل الزوال أو بعده، وهو ظاهر في النهي عن ابتداء صوم رمضان قبل رؤية الهلال، فيدخل فيه صورة الغيم وغيرها، ولو وقع الاقتصار على هذه الجملة لكفي ذلك لمن تمسك به، لكن اللفظ الذي رواه أكثر الرواة أوقع للمخالف شبهة وهو قوله: «فإن غم عليكم فاقدروا له». فاحتمل أن يكون المراد التفرقة بين حكم الصحو وحكم الغيم، فيكون التعليق على الرؤية متعلقًا بالصحو، وأما الغيم فله حكم آخر، ويحتمل أن يكون الثاني مؤكدًا للأول، وإلى الأول ذهب أكثر الحنابلة، وإلى الثاني ذهب الجمهور، فقالوا: المراد بقوله: «فاقدروا له» أي: انظروا في أول الشهر واحسبوا تمام الثلاثين، ويرجح هذا التأويل الروايات الأخر المصرحة بالمراد وهي ما تقدم من قوله: «فأكملوا العدة ثلاثين» ونحوها. وأولى ما فسر الحديث بالحديث.

هل يصام بناءً على الحساب؟

قال الحافظ ابن حجر: قوله: «فاقدروا له». تقدم أن للعلماء فيه تأويلين، وذهب آخرون إلى تأويل ثالث، قالوا: معناه فاقدروه بحساب المنازل، قاله أبو العباس بن سريج من الشافعية، ومطرف بن عبد الله من التابعين وابن قتيبةُ من المحدثين. قال ابن عبدالبر: لا يصح عن مطرف، وأما ابن قتيبة فهو ممن لا يعرج عليه في مثل هذا، قال: ونقل ابن خويز منداد عن الشافعي مسألة «ابن سريج»، والمعروف عن الشافعي ما عليه الجمهور، ونقل ابن العربي عن ابن سريج أن قوله: «فاقدروا له» خطاب لمن خصصه الله بهذا العلم، وأن قوله: «فأكلموا العدة» خطاب للعامة، فصار وجوب رمضان عنده مختلف الحال يجب على قوم بحساب الشمس والقمر، وعلى آخرين بحساب العدد، قال: وهذا بعيد عن النبلاء.

وقال ابن الصلاح: معرفة منازل القمر هي معرفة سير الأهلة، وأما معرفة الحساب فأمر دقيق يختص بمعرفته الآحاد، قال: فمعرفة منازل القمر تدرك بأمر محسوس يدركه من يراقب النجوم، وهذا هو الذي أراده ابن سريج وقال به في حق العارف بها في خاصة نفسه، ونقل الروياني عنه أنه لم يقل بوجوب ذلك عليه، وإنما قال بجوازه، وهو اختيار القفال وأبي الطيب، وأما أبو إسحاق في «المهذب» فنقل عن ابن سريج لزوم الصوم في هذه الصورة، فتعددت الآراء في هذه المسألة بالنسبة إلى خصوص النظر في الحساب والمنازل:

أحدها: الجواز ولا يجزئ عن الفرض.

ثانيها: يجوز ويجزئ.

ثالثها: يجوز للحاسب ويجزئه لا للمنجم.

رابعها: يجوز لهما، ولغيرهما تقليد الحاسب دون المنجم.

خامسها: يجوز لهما ولغيرهما مطلقًا.

وقال ابن الصباغ: أما بالحساب فلا يلزمه بلا خلاف بين أصحابنا.

قُلْتُ: ونقل ابن المنذر قبله الإجماع على ذلك ؛ فقال في الإشراف: صوم يوم الثلاثين من شعبان إذا لم ير الهلال مع الصحو لا يجب بإجماع الأمة. وقد صح عن أكثر الصحابة والتابعين كراهته، هكذا أطلق، ولم يفصل بين حاسب وغيره، فمن فرق بينهم كان محجوجًا بالإجماع قبله.

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز في «اختياراته الفقهية»: لا عبرة شرعًا بمجرد ولادة القمر في إثبات الشهر القمري بدءًا وانتهاءً بإجماع أهل العلم المعتد بهم ما لم تثبت رؤيته شرعًا، ومن خالف في ذلك من المعاصرين فمسبوق بإجماع من قبله، وقوله: مردود؛ لأنه لا كلام لأحد مع سنة رسول الله ﷺ، ولا مع إجماع السلف، أما حساب سير الشمس والقمر فلا يعتبر في هذا المقام لما ذكرنا آنفًا ولما يأتي:

أ- أن النبي ﷺ أمر بالصوم لرؤية الهلال والإفطار لها في قوله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»، وحصر ذلك فيها بقوله: «لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه»، وأمر المسلمين إذا كان غيم ليلة الثلاثين أن يكملوا العدة، ولم يأمر بالرجوع إلى علماء النجوم، ولو كان قولهم هو الأصل وحده أو أصلاً آخر مع الرؤية في إثبات الشهر لبين ذلك، فلما لم ينقل ذلك، بل نقل ما يخالفه دلّ على أنه لا اعتبار شرعًا لما سوى الرؤية، أو إكمال العدة ثلاثين في إثبات الشهر، وأن هذا شرع مستمر إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

ودعوى أن الرؤية في الحديث يراد بها العلم، أو غلبة الظن بوجود الهلال، أو إمكان رؤيته لا التعبد بنفس الرؤية مردودة؛ لأن الرؤية في الحديث متعدية إلى مفعول واحد، فكانت بصرية لا علمية، ولأن الصحابة فهموا أنها رؤية بالعين، وهم أعلم باللغة ومقاصد الشريعة من غيرهم.

ب- أن تعليق إثبات الشهر القمري بالرؤية يتفق مع مقاصد الشريعة السمحة ؛ لأن رؤية الهلال أمرها عام يتيسر لأكثر الناس من الخاصة والعامة في الصحاري والبنيان، بخلاف ما لو علق الحكم بالحساب فإنه يحصل به الحرج ويتنافى في مقاصد الشريعة ؛ لأن أغلب الأمة لا يعرف الحساب.

ودعوى زوال وصف الأمية بعلم النجوم عن الأمة غير مسلمة، ولو سلمت فذلك لا يغير حكم الله تعالى؛ لأن التشريع عام للأمة في جميع الأزمنة.

جـ- أن علماء الأمة في صدر الإسلام أجمعوا على اعتبار الرؤية في إثبات الشهور القمرية دون الحساب، فلم يعرف أن أحدًا منهم رجع إلى الحساب في ذلك عند الغيم ونحوه، أما عند الصحو فمن باب أولى.

د- لا يجوز لأحد أن يحتج على إبطال الرؤية بمجرد دعوى أصحاب المراصد أو بعضهم مخالفة الرؤية لحسابهم، كما لا يجوز لأحد أن يشترط لصحة الرؤية أن توافق ما يقوله أصحاب المراصد، لأن ذلك تشريع في الدين لم يأذن به الله.

هـ- لا يخفى على كل من له معرفة بأحوال الحاسبين من أهل الفلك، ما يقع بينهم من الاختلاف في كثير من الأحيان في إثبات ولادة الهلال أو عدمها، وفي إمكان رؤيته أو عدمه، ولو فرضنا اجتماعهم في وقت من الأوقات على ولادته أو عدم ولادته لم يكن إجماعهم حجة، لأنهم ليسوا معصومين بل يجوز عليهم الخطأ جميعًا، وإنما الإجماع المعصوم الذي يحتج به هو إجماع سلف الأمة في المسائل الشرعية.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وكلها تبين للأمة أنه لا اعتبار في الشرع المطهر للحساب، ولا لضعف منازل القمر، ولا لكبر الأهلة وصغرها، ولا لرؤية الهلال قبل طلوع الشمس من اليوم التاسع



والعشرين، سواءً كان منخفضًا أو مرتفعًا، وإنما الاعتبار شرعًا بالرؤية الشرعية بعد المغرب أو إكمال العدة.

اختلاف المطالع

قال الحافظ في الفتح: «قوله: فلا تصوموا حتى تروه» ليس المراد تعليق الصوم بالرؤية لكل أحد، بل المراد بذلك رؤية بعضهم وهو من يثبت به ذلك.

قال: وقد اختلف العلماء في المطالع على مذاهب:

أحدها: لكل أهل بلد رؤيتهم، وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ما يشهد لذلك- ومراده بحديث ابن عباس الذي في مسلم هو: عن كريب أن أم الفضل بنت الحارث بعثته إلى معاوية بالشام، قال: فقدمت الشام فقضيت حاجتها، واستهل عليَّ رمضان وأنا بالشام، فرأيت الهلال ليلة الجمعة. ثم قدمت المدينة في آخر الشهر، فسألني عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. ثم ذكر الهلال فقال: متى رأيتم الهلال؟ فقلت: رأيناه يوم الجمعة. فقال: أنت رأيته؟ فقلت: نعم، ورآه الناس فصاموا، وصام معاوية. فقال: لكنا رأيناه ليلة السبت. فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه. فقلت: ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ فقال: لا. هكذا أمرنا رسول الله ﷺ.

قال الحافظ في الفتح: وحكاه ابن المنذر عن عكرمة والقاسم وإسحاق، وحكاه الترمذي عن أهل العلم، ولم يحك سواه، وحكاه الماوردي وجهًا للشافعية.

ثانيها: مقابله وهو إذا رؤي ببلدة لزم أهل البلاد كلها، وهو المشهور عند المالكية، لكن حكى ابن عبد البر الإجماع على خلافه، وقال: أجمعوا على أنه لا تراعى الرؤية فيما بعد من البلاد كخراسان والأندلس.

وقال ابن الماجشون: لا يلزمهم بالشهادة إلا لأهل البلد الذي ثبتت فيه الشهادة، إلا أن يثبت عند الإمام الأعظم فيلزم الناس كلهم ؛ لأن البلاد في حقه كالبلد الواحد إذ حكمه نافذ في الجميع.

وقال بعض الشافعية: إن تقاربت البلاد كان الحكم واحدًا، وإن تباعدت فوجهان لا يجب عند الأكثر، واختار أبو الطيب وطائفة الوجوب، وحكاه البغوي عن الشافعي.

ضابط البعد

وفي ضبط البعد أوجه:

أحدها: اختلاف المطالع، قطع به العراقيون والصيدلاني، وصححه النووي في الروضة وشرح المهذب.

ثانيها: مسافة القصر قطع به الإمام والبغوي، وصححه الرافعي في الصغير والنووي في شرح مسلم.

ثالثها: اختلاف الأقاليم.

رابعها: حكاه السرخي، فقال: يلزم كل بلد لا يتصور خفاؤه عنهم بلا عارض دون غيرهم.

خامسها: قول ابن الماجشون المتقدم، واستدل به على وجوب الصوم والفطر على من رأى الهلال وحده وإن لم يثبت بقوله. وهو قول الأئمة الأربعة في الصوم، واختلفوا في الفطر، فقال الشافعي: يفطر ويخفيه، وقال الأكثر: يستمر صائمًا احتياطًا.

توحيد الصوم

لا شك أن توحد المسلمين في صومهم كما يتوحدون في حجهم أمرٌ محبب للنفس يدعو إلى القوة والوحدة والألفة وعدم الاختلاف ونبذ الخلاف، ولكن إذا حدث واختلفت البلاد في الرؤية فقال الشيخ ابن باز رحمه الله: فعلى المسلمين في كل بلد أن يصوموا مع قادتهم درءًا للفتنة ودفعًا للخلاف.

وكذا قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى، إلى أن ييسر الله للمسلمين توحدهم، فأرى أنه على المسلمين في كل بلد أن يصوموا ويفطروا مع مفتيهم، حسمًا لمادة الخلاف ومنعًا للنزاع.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يرد المسلمين إلى دينهم ردًا جميلاً، وأن يتقبل منا الصيام، والقيام. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



رمضان والإيمان

إعداد / شوقي عبدالصادق

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي من تولاه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخير من قام بأمر مولاه، وبعد:

فمن معتقد أهل السنة والجماعة أن الإيمان هو الإقرار بالقلب والنطق باللسان والعمل بالجوارح، فالإيمان يزيد وينقص بزيادة هذه الأمور الثلاثة ونقصانها، فالإيمان يزيد من حيث إقرار القلب وطمأنينته كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ويزاد بالنطق فليس إيمان من يكثر من ذكر الله مثل إيمان من يغفل أو يقل ذكره لله، فلا شك أن الأول إيمانه أزيد، وكذلك العمل، فمن عمل بجوارحه طاعات صار أزيد إيماناً ممن قلت أعماله.

يقول الإمام الطحاوي: وأما الزيادة بالعمل والتصديق المستلزم لعمل القلب والجوارح فهو أكمل من التصديق الذي لا يستلزمه، فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به. [شرح الطحاوية ص٢٧٠].

ويقول النووي في شرح مسلم: التصديق يكمل بالطاعات كلها فما ازداد المؤمن من أعمال البركات إيمانه أكمل، وبهذه الجملة يزيد الإيمان وبنقصانها ينقص، فمتى نقصت أعمال البر نقص كمال الإيمان، ومتى زادت أعمال البر زاد الإيمان كمالاً، هذا توسط القول في الإيمان، وأما التصديق بالله تعالى ورسوله فلا ينقص. [شرح مسلم ١/١٤٦].

وهذا المعتقد خلافاً لما يعتقده المرجئة بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، وهذا باطل قطعاً، وخلافاً لما يعتقده الخوارج بخروج المرء من الإيمان بارتكاب الكبيرة، وأدلة زيادة الإيمان من القرآن هي:

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [المدثر: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

وأدلة زيادة الإيمان من السنة

ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار». فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار. قال: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن». قالت: يا رسول الله، وما نقصان العقل والدين؟ قال: أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين، فترك المرأة للصلاة والصيام في حال الحيض نقصان في الدين». وإن كانت غير آثمة في هذا الترك حال حيضها ونفاسها فيكون من صلى أكثر وصام يزداد دينه وإيمانه، ولذلك بوب الإمام مسلم في صحيحه تحت باب نقصان الإيمان بنقص الطاعات وذكر هذا الحديث.

وما رواه مسلم أيضاً باب الدوام على الذكر



وتركه، والحديث عن حنظلة الأسدي يقول فيه لرسول الله ﷺ: نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي العين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرًا فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات».

والشاهد من الحديث هو زيادة إيمان الصحابة عندما يذكرهم الرسول ﷺ بالجنة والنار وترق قلوبهم حتى كأنهم يرون بأعينهم الجنة فإذا خرجوا من عنده وشغلوا بالأولاد والزوجات والأموال فقدوا شيئًا من لين القلوب ورقتها فأقسم لهم النبي ﷺ أنهم لو ظلوا بعد انصرافهم من عنده- أي بعد زوال المؤثر- في الذكر وفي الطاعات لصافحتهم الملائكة على فرشهم وفي طرقهم، ولكن ساعة تلين القلوب ويزداد فيها الإيمان بالذكر وكثرة الطاعات، وساعة تقسو ويقل الإيمان، وتفقد شيئًا من لينها.

ومن أدلة زيادة الإيمان من أقوال السلف

قال البخاري: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص، وكان معاذ بن جبل يقول للرجل من إخوانه: اجلس بنا نؤمن ساعة فيجلسان فيذكران الله تعالى ويحمدانه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول: «اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا». (فتح الباري ١/٦١، ٦٣).

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص؟

وكان عمر رضي الله عنه يقول لأصحابه: هلموا نزدد إيمانًا فيذكرون الله عز وجل. [شرح الطحاوي ص٢٧٨].

وقال عمار بن ياسر: ثلاث من جمعهن، فقد جمع الإيمان: الإنصافُ من نفسك وبذل السلام للعَالَم، والإنفاق من الإقتار. [ذكره البخاري ١/١٠٣].

ويقول النووي في شرح مسلم، وأما إطلاق اسم الإيمان على الأعمال فمتفق عليه عند أهل الحق ودلائله في الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تشهر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾، أجمعوا على أن المراد صلاتكم. (شرح مسلم ١/١٤٩).

ومن هذه الأعمال التي تزيد في الإيمان ويفعلها المسلمون في رمضان ويكثرون منها:

أولاً: الصيام يزيد في الإيمان

فقد أورد البخاري في كتاب الإيمان من صحيحه باب صوم رمضان احتسابًا من الإيمان ثم ساق بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه».

والصوم يزيد في الإيمان إذا جاء المسلم به كمًا وكيفًا وبمراتبه الثلاث كما قال العلماء، فكف البطن والفرج عن قضاء الشهوة، ولم يكتف بذلك لأن هذا صوم العموم بل كف النظر عن عورات النساء وزينتهن، واللسان عن الولوغ والخوض في أعراض المسلمين، واليد عن الإيذاء والمال الحرام والسمع عن سماع الزور والغناء، وسائر الجوارح عن المنكر والفحشاء، بل لم يكتف بذلك ولكنه صوّم قلبه عن الهمم الدنيئة والأفكار المبعدة عن الله تعالى، وكفه عما سوى الله بالكلية فلا يتعلق قلبه بمخلوق ليجيب سؤله أو يكشف ضره، وهذا صوم خصوص الخصوص ويرجى للمسلم الذي يأتي به أن يزيد إيمانه.

ثانيًا: إطعام الطعام في رمضان يزيد الإيمان

فقد أورد البخاري في كتاب الإيمان من صحيحه باب إطعام الطعام من الإسلام، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تُطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف». [فتح الباري ١/٧٢].

فاحرص أيها المسلم على إطعام الطعام وتفطير الصائمين فإنه يزيد من إيمانك إن شاء الله وتأخذ مثل أجر من فطرتهم.

ثالثًا: القيام في رمضان طاعة تزيد في الإيمان

لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه». [صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان).

فالزم أيها المسلم القيام فيه حتى تختم القرآن فيه على الأقل مرة، واحرص على التراويح التي يطمئن فيها الإمام ولا ينقر صلاته بل يجيد قراءته ويتم ركوعها وسجودها، وليتذكر المسلم أن رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، وأنه مهما قام من الليل وقدم من الطاعة فإنه سوف



يستقلُ هذا يوم القيامة في حق ربه تعالى ؛ لقول رسول الله ﷺ : «لو أن رجلاً يُجَرُّ على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموتُ هَرَمًا في مرضاة الله عز وجل لحقَّرهُ يوم القيامة». [السلسلة الصحيحة: ٤٤٦].

رابعا: قيام ليلة القدر يزيد الإيمان

لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يقم ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه». [البخاري، كتاب الإيمان، باب قيام ليلة القدر من الإيمان)، فالمسلم وهو يلتمس ليله القدر في العشر الأخيرة من رمضان يقوم ليله إلا قليلاً يزداد إيمانه بهذه الطاعة لطول وقوفه بين يدي ربه وكثرة تضرعه إليه سبحانه.

خامساً: قراءة القرآن تزيد الإيمان

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا ﴾ [التوبة]، فإن القرآن يزيد قارئه والعالم به إيمانًا وتقوى وخشوعًا كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٧- ١٠٩].

وفي رمضان يقبل المسلمون على القرآن فيكثرون من تلاوته في ليلهم ونهارهم وفضلاً عن الثواب الذي يناله عن كل حرف من أحرف القرآن، إذا قرأه المسلم متقنًا قراءته عشر حسنات ويُجَازَى بأن الله تعالى يستمع له ؛ لما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما أَذِنَ الله لشيء ما أذِنَ لنبي حَسَنِ الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به». ومعنى أذن أي استمع لشيء ويزيد الله هذا القارئ إيمانًا مع إيمانه، ويكون من الذاكرين الله كثيرًا، ويباهي ملائكته به.

سادساً: كثرة ذكر الله تعالى تزيد الإيمان

ففي رمضان تطول فترة تواجد المسلمين بالمساجد قبيل الفجر والمغرب، وأيام الاعتكاف ويكثر الذكر لله تعالى في هذه الأوقات فيزيد الإيمان في رمضان، فلتحرص أيها المسلم على خير الذكر وخير الدعاء وهو كلمة التوحيد وأثقل الكلام في الميزان فيزداد إيمانك ويُغفر ذنبك، وتسمو عند ربك ؛ لما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل عملاً أكثر من ذلك». [اللؤلؤ والمرجان ١٧٢٤].

فاحرص أخي الحبيب على أذكار الصباح والمساء وأدبار الصلوات.

سابعاً: ومما يزيد في الإيمان خوف المؤمن أن يحبط عمله:

في رمضان تنضبط جوارح الكثير من الناس، خوفًا على صيامهم من الضياع، ولضيق مجاري الشيطان بالجوع والعطش أو الصوم عمومًا، فالمسلم في رمضان عندما يقترف سيئة يستحضر حرمانه طوال النهار فيندم ويستغفر ويجد من يُذكره بصومه فيقال له: كيف تسب وتلعن وأنت صائم ؟ وكيف تفعل كذا وأنت صائم؟ فينزجر ويرتدع ولا يأتي بنواقض الإيمان، ومن ثم يزداد إيمانه بخوفه من حبوط عمله، ولذلك بوب الإمام البخاري بابًا في كتاب الإيمان من صحيحه سماه باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

وعلى المسلم أن يجتنب السباب واللعن ؛ لقول النبي ﷺ:«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر». وقوله ﷺ «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». رواه البخاري وغيره.

وكل هذه المخالفات وغيرها يقدحُ في زيادة الإيمان، فإذا صمت أيها المسلم هذا الصيام وقمت وقرأت القرآن وتصدقت وأطعمت الطعام وذكرت الله تعالى وشعرت أن إيمانك يزداد يومًا بعد يوم حتى وصلت إلى آخر رمضان فلا تكن بعد رمضان كما قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ [النحل: ٩٢]، ولا تكن كالذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾، بل استمر على المزيد، وطلب المزيد، وكن عند قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

سورة آل عمران

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فحديثنا بإذن الله في هذا العدد يدور حول الآيتين الثامنة والثلاثين والتاسعة والثلاثين من سورة آل عمران، وهما متصلتان بالآيات التي ذكرناها في العددين السابقين، وذلك لتتم الفائدة ؛ لأن الكلام مستانف والقصة مستقلة، سيقت في تضاعيف حكاية مريم، لما بينهما من قوة الارتباط، وشدة الاشتباك، مع ما في إيرادها من تقرير ما سيقت له حكايتها من بيان أصفياء آل عمران، فإن فضائل بعض الأقرباء أدلة على فضائل الآخرين.

قال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾.

«هنالك»: هذا اسم إشارة إلى المكان، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، يعني في ذلك الزمن، والإشارة هنا يحتمل أن تكون للزمن، أي في ذلك الزمن، ويحتمل أن تكون للمكان، أي في المكان الذي هو محراب مريم.

«دعا زكريا ربه»: لما رأى زكريا عليه السلام كرامة مريم على الله ومنزلتها منه تعالى، وأن الله يرزقها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، رغب في أن يكون له من زوجته ولد مثل ولد أختها في النجابة والكرامة، وإن كان شيخًا كبيرًا قد وهن عظمه واشتعل رأسه وكانت امرأته كبيرةً عاقرًا، فسأل ربه بنداء خفي: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾.

«هب لي»: أي: أعطني، والهبة: هي التبرع بالشيء بلا عوض، لكن قال العلماء: إن هناك هبة، وهدية وصدقة، فالصدقة: ما أريد به ثواب الآخرة.

والهدية: ما أريد به التودد والتقرب بين المهدي والمهدى إليه.

والهبة: ما قصد به مجرد انتفاع الموهوب له.

«رب هب لي من لدنك»: أي من عندك، وأضاف العندية إلى الله عز وجل ليكون أبلغ وأعظم ؛ لأن هدية الكريم أكرم.

وقوله: «ذرية» بمعنى مذروءة، أي: مخلوقة، وقوله: «طيبة»: أي طيبة في أقوالها وأفعالها، وكذلك في أجسامها، فهو متناول للطيب الحسي والطيب المعنوي.

«إنك سميع الدعاء»: أي مجيبه، والدعاء: هو سؤال العبد ربه حاجته إما بجلب منفعة، وإما بدفع مضرة.

«فنادته الملائكة»: وفي قراءة فناداه الملائكة ؛ لأن الملائكة جمع تسكير، وجمع التكسير يجوز فيه التذكير والتأنيث، ويمكن أن يراد بالملائكة واحد وهو جبريل.

«ناداه» وعبر عنه بالجمع باعتبار الجنس ؛ لأنه واحد منهم، ومعنى فنادته: أي خاطبته وأسمعته وهو قائم يصلي في محراب عبادته.

«وهو قائم يصلي في المحراب»: والمحراب مفعال من الحرب، وهو مكان العبادة أو مكان الصلاة، فهو المسجد كله وليس المحراب هو طاق القبلة أو الفجوة الموجودة في جدار القبلة فهذه محدثة، ما كانت في زمن الرسول ﷺ ولا في زمن صحابته، وقد قيل إن الذي أحدثها هو الوليد بن عبد الملك.

وسمي المحراب بهذا لأنه مكان حرب الشياطين، فإن العبادة حرب للشياطين.

«إن الله يبشرك»: «أنَّ» فيها قراءتان: قراءة بالفتح، وقراءة بالكسر، فأما على قراءة الكسر: «إن الله». فلأن النداء قول، ومقول القول إذا صُدِّر بـ «إن» يجب فيه كسر إن، كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠]، وأما على قراءة الفتح فهي على تقدير حرف الجر: (فنادته الملائكة بأن الله يبشرك)، ببشرى الله بهذا الابن (يحيى).

أيضًا في قوله تعالى: «يُبَشِّرك»: قراءتان: يَبْشُرُك، يُبَشِّرُك. قال أبو منصور الأزهري في «معاني القراءات»: من قرأ (يُبَشِّرُك) فهو من البشارة لا غير، يقال بُشِّرْتُه بِشَارةً بتشديد الشين، والبشارة هي الإخبار بما يسر، وسميت بذلك لتأثر البشرة بالخبر، لأن الإنسان إذا بُشِّر بما يسره يفرح ويظهر ذلك على وجهه.

ومن قرأ (يبشرك) فمعناه: يَسُرُّكَ ويُفْرِحُكَ. يقال: بَشَرْتُه أبْشُرُه إذا فَرَّحْتُهُ. ومن العرب من يجيز: بشرته وأبشرته وبَشَّرته بمعنى واحد. ويقال: بشَرْتُه فابْشر

وبَشَر، أي سُرَّ وفرح.

وكذلك الإخبار بما يسوء بشرى، لأن البشرة تتأثر بذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨].

قال الله تعالى: «بيحى» هذا المبشر به، ويحيى: قيل إنه من الحياة والله سماه بذلك إشارة إلى أنه سيحيا ويبقى، وعلى هذا فهو ممنوع من الصرف للعلمية ووزن الفعل.

وقوله: «مصدقًا بكلمة من الله وسيدًا»: مصدقًا: أي بعيسى ابن مريم ؛ إذ هو أول من صدق به وعلى سنته ومنهاجه.

«بكلمة من الله» هو عيسى ابن مريم ؛ يعني مصدق بعيسى، لأن عيسى كلمة الله، وسمي بذلك لأنه كان بكلمة الله ولم يكن من أب كما يكون البشر، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

خلقه: أي آدم من تراب، ثم قال له: كن فيكون، ولهذا سمي عيسى بالكلمة ؛ لأنه كان بكلمة الله وليس هو كلمة الله ؛ لأن كلمة الله وصف لله عز وجل، فالكلام وصف للموصوف، ولا يمكن أن يكون وصفُ الله عينًا بائنة منه.

وقوله: «منَ الله» بيان لابتداء الأمر وليست للتبعيض، فالكلمة هنا ليست بعضًا من الله، بل منشؤها منه.

«وسيدًا» معطوفة على «مصدقًا» فتكون منصوبة على الحال، والسيد من ساد غيره وشرف عليه بالعلم والدين والخُلُق والمعاملة والخُلق: يشمل كل خلق يسود به الإنسان غيره من الجود والشجاعة والإيثار وغير ذلك.

«وحصورًا»: معطوفة على «مصدقًا»، فهي منصوبة على الحال، «حصورًا» فعول بمعنى فاعل، أي حاصرًا نفسه عن أراذل الأخلاق، فيكون هذا المبشر به موصوفًا بصفات الكمال الدال عليها قوله: «سيدًا»، ومبرًا من النقص وسوء الأخلاق الدال عليه قوله: «وحصورًا» فيكون جمع له بين النفي والإثبات، وذلك لأن الإنسان لا يكمل إلا بوجود صفات الكمال وانتفاء صفات النقص، وهو أمر نسبي.

وقد ذهب فريق من المفسرين إلى أن الحصور الذي لا يأتي النساء، أو لا ينزل الماء، أو ذكره مثل هُدْبَة الثوب (أي طرف الثوب) أو الممنوع عن إتيان النساء ؛ يعني لا يستطيع على النساء.

قال ابن عثيمين رحمه الله: «فإن في هذا نظرًا واضحًا لأن عدم قدرة الإنسان على النساء ليس كمالاً ؛ إذ إن ذلك ليس منه بتخلق ولكنه عيب».

وقال ابن كثير في تفسيره نقلاً عن القاضي عياض في كتابه «الشفاء»: «اعلم أن ثناء الله على يحيى أنه كان «حصورًا» ليس كما قاله بعضهم... بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين، ونقاد العلماء، وقالوا: هذه نقيصة وعيب، ولا يليق بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب كأنه حصور عنها. إن عدم القدرة على النكاح نقص، وإنما الفضل في كونها موجودة ثم يمنعها إما بمجاهدة كعيسى عليه السلام، أو بكفاية من الله عز وجل ليحيى عليه السلام، ثم هي في حق من قدر عليها، وقام بالواجب فيها، ولم تشغله عن ربه درجة عليا، وهي درجة نبينا ﷺ الذي لم يشغله كثرتهن عن عبادة ربه، بل زاده ذلك عبادة بتحصينهن وقيامه عليهن، وإكسابه لهن وهدايته إياهن، بل قد صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو، وإن كانت من حظوظ دنيا غيره، فقال ﷺ: «حُبب إليَّ من دنياكم...».

هذا لفظه، والمقصود أنه مدح لحيى بأنه حصور ليس أنه لا يأتي النساء، بل معناه كما قاله هو وغيره: أنه معصوم من الفواحش والقاذورات، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلاءهن بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال: ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كأنه قال: ولدًا له ذرية ونسل وعقب، والله سبحانه وتعالى أعلم. اهـ.

«ونبيًا من الصالحين»: هذه معطوفة أيضًا على «مصدقًا» فهو مصدق ونبي، ولا يلزم من تصديقه بعيسى أن يكون تابعًا له، فها هو محمد عليه الصلاة والسلام مصدق بجميع الأنبياء وهم يتبعونه ولا يتبعهم، ولهذا قال النبي ﷺ: «لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي». رواه أحمد.

ولهذا صار إمامًا لهم ليلة المعراج، وإذا نزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان يحكم بشريعة النبي ﷺ. المهم أن تصديقه لعيسى ابن مريم لا ينافي أن يكون نبيًا، فهو نبي مصدق بالأنبياء، ولهذا قال: ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾. وقوله: ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾: أي من جملتهم، وإنما قلنا ذلك لأن النبوة وصف أعلى من الصلاح، لكن هو في جملة الصالحين، فالنبوة صلاح وزيادة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

من فوائد الآيتين الكريمتين

من فوائد قوله عز وجل: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾:

١- أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله، حتى الأنبياء لا يستغنون عن دعاء الله ؛ لقوله: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾.

٢- إثبات القياس ؛ لأنه لما رأى أن الله يرزق هذه المرأة بدون سبب معلوم، علم أن الذي يسوق لها الرزق وهي امرأة منقطعة عن التكسب في محرابها قادر أن يرزقه، إذن هو استدل أو أخذ من هذه القصة عبرة وهو أن يسأل الله أمرًا وإن كان مستبعدًا.

٣- أن الصيغة التي يتوسل بها غالبًا في الدعاء

هي اسم الرب ؛ لقوله: «ربه»، ولم يقل: «الله». ولهذا تجد أكثر الأدعية مصدرة بـ «الرب»، لأن إجابة الداعي من مقتضى الربوبية ؛ لأنها فعل، وكل الأفعال مقتضى الربوبية، فلهذا يتوسل الداعي دائمًا باسم «الرب»، قال النبي ﷺ: «...يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب». رواه مسلم.

٤- أنه لا ينبغي للإنسان أن يسأل مطلق الذرية ؛ لأن الذرية قد يكونون نكدًا وفتنة، وإنما يسأل الذرية الصالحة.

٥- أنه ينبغي للإنسان أن يفعل الأسباب التي تكون بها ذريته طيبة، ومنها دعاء الله، وهو أكبر الأسباب، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عن الرجل يبلغ أشده أنه يقول: ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٣٦].

ولا شك أن صلاح الذرية أمرٌ مطلوب، لأن الذرية الصالحة تنفعك في الحياة، وفي الممات ؛ لقول النبي ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له». رواه الترمذي والنسائي.

٦- التوسل إلى الله تعالى بأسمائه المناسبة للحاجة ؛ لقوله: ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ أي: مجيبه، وهكذا ينبغي أن تكون الأسماء التي يتوسل بها الإنسان في دعائه مناسبة للمدعو به، فالداعي بالمغفرة يتوسل باسم الغفور وبالرحمة، والداعي بالرزق يتوسل باسم الرازق، وهكذا.

٧- إثبات سمع الله وكرمه وقدرته. وجه ذلك: أنه يسمع الدعاء، ويجيب من دعاه، وقادر على الإجابة، فإن قال قائل: أحيانًا يدعو المرء ولا يستجيب الله دعاءه، وهنا زكريا عليه السلام يقول: ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾، وقال إبراهيم: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

فالجواب: أن يقال: إن عدم إجابة الله الدعاء، إما أن يكون لوجود مانع، وإما أن يكون لمصلحة الداعي أو لفوات شرط، فأما إذا تمت الشروط وانتفت الموانع ولم تقتض المصلحة خلاف ما دعا به الداعي، فإن الله تعالى يستجيب الدعاء قطعًا ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، فإذا دعا الإنسان ربه وقلبه لاه يقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، لكن قلبه مشغول بشيء آخر، فهذا فيه سوء أدب مع الله، فهنا قد تتخلف إجابة الدعوة لعدم وجود الشرط.

ومن الموانع: أن يكون الإنسان آكلاً للحرام -والعياذ بالله-، فإن أكل الحرام من أكبر موانع إجابة الدعاء، وفي الحديث: «إن الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغُذي بالحرام فأنى يُستجاب لذلك». رواه مسلم.

فهنا قد تتخلف إجابة الدعاء لوجود مانع، وقد تكون لمصلحة الداعي يدخر الله له عنده أعظم مما سأل، أو يعلم الله سبحانه وتعالى أنه لو أجابه لحصل عليه مضرة في دينه، مثل أن تكون إجابته سببًا لفتنته عن دينه فبرحمة الله وحكمته لا يستجيب له هذا الدعاء لمصلحة الداعي.

ولهذا ينبغي للإنسان ألا يضجر إذا دعا الله فلم يستجب له، وألا يسأم ويستحسر.

ومن فوائد قوله عز وجل: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾:

١- إثبات الملائكة، وأنهم عالم غيبي مخلوقون من النور، خلقهم الله عز وجل لما أعدهم له، فقاموا به على حسب ما أراد خالقهم عز وجل، يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

وأخبر النبي ﷺ بقوله: «أطت السماء وحُقّ لها أن تئط (الأطيط: ما يسمع من صرير الرحل على البعير المحمل حملاً ثقيلاً) ما من موضع أربع أصابع إلا وفيه مالك قائم لله أو راكع أو ساجد». رواه أحمد والترمذي.

وإنكار الملائكة حُكْمُه الكفر، لأنه تكذيب للقرآن الكريم.

٢- أن الملائكة تتكلم بصوت مسموع ؛ لقوله: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾.

٣- جواز تكليم المصلي من قوله: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾، لكن المكلم وهو يصلي لا يخاطب الآخر وإنما يجيبه بالإشارة، والأفضل تركه إلا لحاجة، وذلك لأنك إذا كلمته وهو يصلي فإنك تشوش عليه وربما ينسى ويخاطبك.

٤- مشروعية تبشير الإنسان بما يسره، لقوله تعالى: ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى ﴾، وهذا أمرٌ مشروع في نوعه وجنسه.

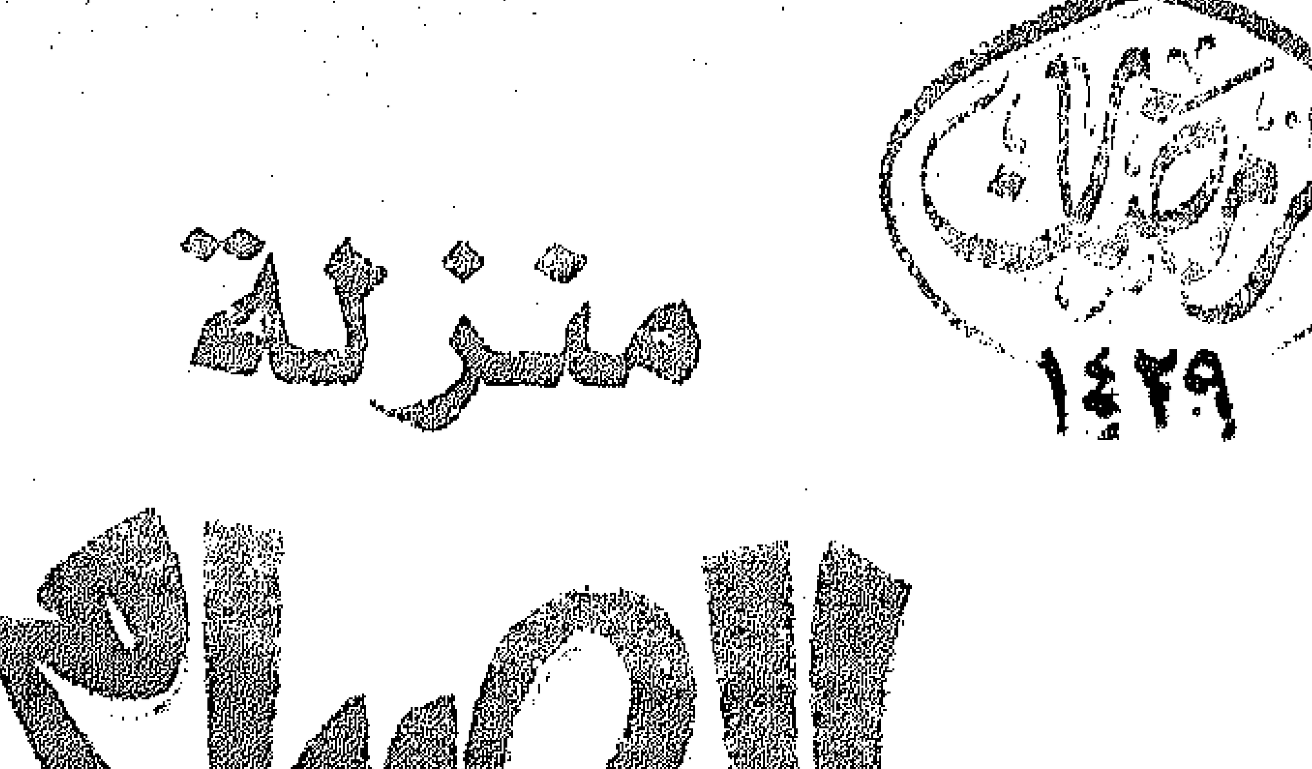
٥- يستفاد من هذا تقديم التسمية على اليوم السابع، وهذا إذا كان الاسم مُهَيئًا، أما إذا كان غير مهيأ فإنه ينبغي أن يؤخر إلى اليوم السابع.

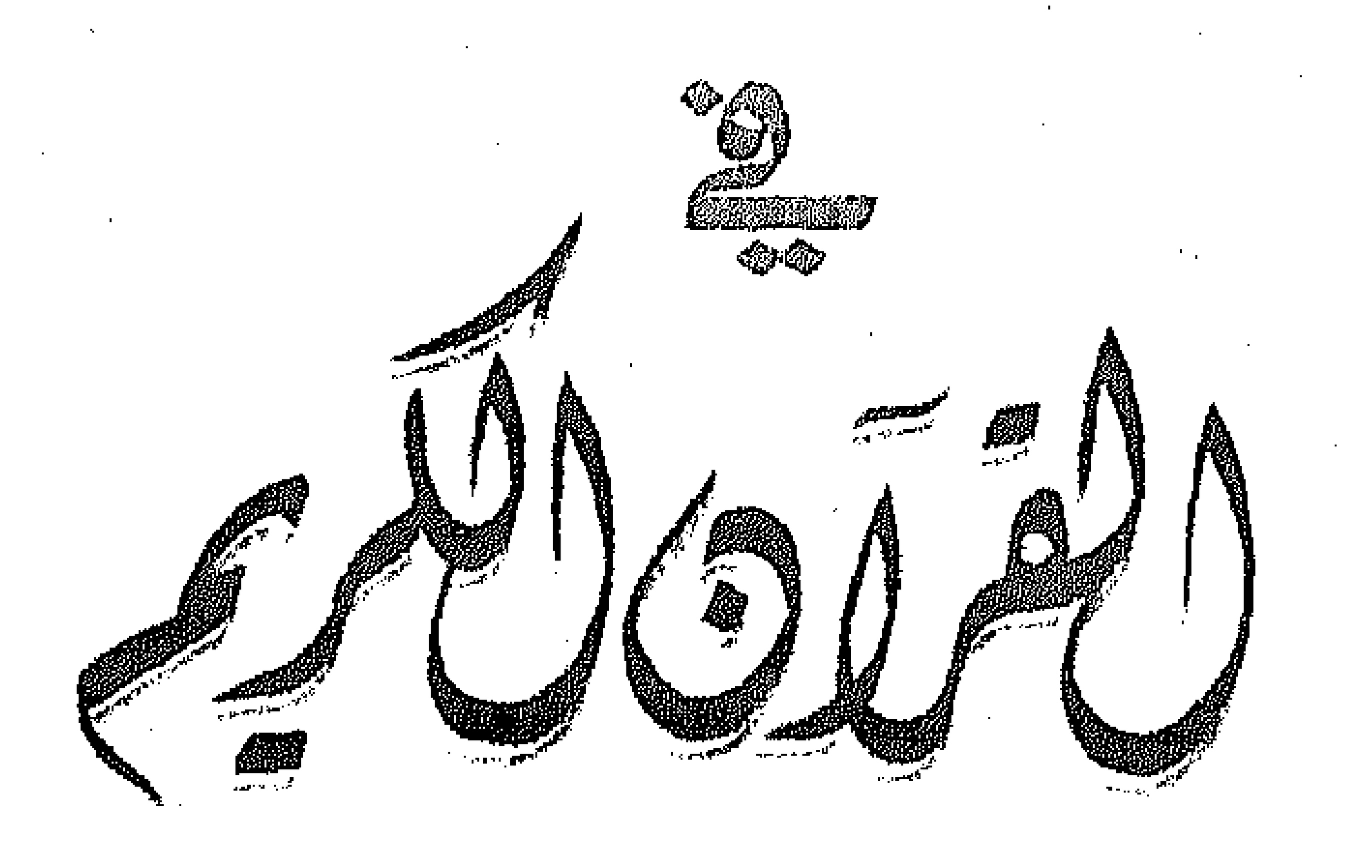
٦- الثناء على من صدق المرسلين ؛ لقوله: ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾، فإن الله قال ذلك على سبيل الثناء على يحيى، ولا شك أن من صدق من قامت البينات على صدقه فإنه محمود.

٨- أن يحيى عليه السلام مع توافر صفات الكمال في حقه بالسيادة فإنه كان ممنوعًا من مساوئ الأخلاق ؛ لقوله تعالى: «وحصورًا»، فإن أصح وأعم ما قيل فيه أنه ممنوع عن مساوئ الأخلاق.

٩- أن الأنبياء من الصالحين، بل هم في أعلى مراتب الصلاح، فإن مراتب الصلاح أربعة: وهي النبوة، والصديقية، والشهادة، والصلاح، هذا إذا ذكرت جميعًا صارت مراتب، وإن لم تذكر جميعًا صار الصلاح عامًا؛ لقول النبي ﷺ: «إذا قلتم: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقد سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض». رواه البخاري ومسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





منزلة الصيام في القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي البشير وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيله إلى يوم الدين، وبعد:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٥].

إعداد: د/ عبدالله شاكر الجنيدي

دلت هذه الآيات على أن صوم رمضان فريضة على كل مسلم ومسلمة في كل عام متى ثبت دخول الشهر برؤية الهلال، أو إكمال شهر شعبان. وصوم شهر رمضان أحد الأركان الخمسة التي حددها نبينا ﷺ، كما في الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله- ﷺ -، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»(١).

والآية الأولى من الآيات السابقة تحدثت عن فريضة الصيام، وأن الله كتبه علينا - يعني فرضه - كما كتبه على الأمم قبلنا، والقرآن بذلك يرغب في الصيام، ويبين أنه فريضة خالدة على المؤمنين في كل دين، والآية الثانية فيها برهان على يسر هذا الدين الحنيف، حيث لم يُفْرض الصيام إلا شهراً واحداً في كل عام، فليس هو فريضة في كل شهور العام، ولكنه أيام معدودات، وقد فرضه الله على القادرين، ورخص في الإفطار فيه للمريض حتى يصح، والمسافر حتى يقيم، أما من يشق عليهم الصيام بسبب لا يرجى زواله كالشيوخ الهرمين، والمرضى المزمنين فلهم أن يفطروا ويطعموا عن كل يوم مسكيناً.

أما الآية الثالثة فقد حددت وقت الصيام وزمانه؛ فهي مستأنفة لبيان تلك الأيام المعدودات التي كتبت علينا، وأنها أيام شهر رمضان، وقد فضل الله هذا الشهر بنزول القرآن، ومن المعلوم أن ابتداء نزول القرآن كان في ليلة القدر من شهر رمضان حيث جاء جبريل - عليه السلام - إلى النبي ﷺ وهو يتعبد في غار حراء بالآيات الأولى من القرآن: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾. وبهذا امتاز شهر رمضان على غيره من شهور العام.

والصيام فضلاً عن كونه عبادة روحية عظيمة يهذب النفس ويقوم السلوك، وتتحقق به التقوى جعله الله باباً من أبواب الكفارات التي ترفع عن المسلم وزر ما وقع فيه في بعض القضايا، أو يتحلل من أمر واجب عليه ولا يستطيع القيام به، وبيان ذلك فيما يلي:



١- جعل الله الصيام فدية لمن حلق رأسه وهو محرم، قال تعالى: ﴿فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ [البقرة: ١٩٦]، أي: من كان منكم معشر المحرمين مريضًا يتضرر معه بالشعر ويحتاج إلى حلقه - والمحرم يحرم عليه ذلك - فعليه إن حلق فدية من صيام أو صدقة أو نسك، فجعل الله الصوم من الأجناس الثلاثة التي يفتدى بها في هذا الأمر.

وذكر البخاري في كتاب التفسير من صحيحه وغيرُهُ حديث عبد الله بن معقل قال: قعدت إلى كعب ابن عجرة في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - فسألته عن فدية من صيام، فقال: حملت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: «ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا، أما تجد شاة؟» قلت: لا، قال: «صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام، واحلق رأسك». فنزلت فيَّ خاصة: «وهي لكم عامة»(٢).

وجمهور العلماء والأئمة أنه يخير في هذا المقام، إن شاء صام، وإن شاء تصدق، وإن شاء ذبح شاة وتصدق بها على الفقراء، أي ذلك فعل أجزأه.

قال ابن كثير: «ولما كان لفظ القرآن في بيان الرخصة جاء بالأسهل فالأسهل، ولما أمر النبي ﷺ كعب بن عجرة بذلك أرشده إلى الأفضل فالأفضل، فقال: انسك شاة، أو أطعم ستة مساكين، أو صم ثلاثة أيام، فكل حسن في مقامه ولله الحمد والمنة»(٣).

٢- جعل الله الصيام بديلاً عن الهدي للمتمتع بالعمرة إلى الحج، قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقد دلت السنة النبوية على ما دل عليه القرآن، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما الطويل الذي رواه البخاري وغيره وفيه أن النبي ﷺ قال: «فمن لم يجد هديًا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله»(٤)، والمعنى: أن المتمتع بالعمرة إلى الحج إذا لم يجد الهدي، أو لم يجد ثمنه ينتقل إلى الصوم بنص القرآن والسنة، وعليه أن يصوم بالتفصيل المذكور فيها: ثلاثة أيام في الحج، وسبعة إذا رجع إلى أهله، حتى يأتي بالعشرة كاملة.

قال القاسمي- رحمه الله-: «كاملة» صفة مؤكدة لعشرة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد، ففيه زيادة توصية لصيامها، وأن لا يتهاون بها، ولا ينقص من عددها، كأنه قيل: تلك عشرة كاملة، فراعوا كمالها ولا تنقصوها»(٥).

٣- جعل الله الصوم بديلاً عن تحرير الرقبة في قتل الخطأ. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢]، وهذه الآية تتحدث عن قتل الخطأ وتبين أنه وإن عُفي عنه فلا يقتص منه إلا أنه لا يخلو من تقصير في حق الله تعالى، ولا يهدر دم المؤمن بالكلية، ولذلك أوجب عليه عتق رقبة مؤمنة لحق الله تعالى، وقيل في حكمة الاعتاق: إنه لما أخرج نفسًا مؤمنة من جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسًا مثلها في جملة الأحرار؛ لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها(٦).

كما أوجب عليه أيضًا دية مسلمة إلى أهله وهم ورثة المقتول عوضًا عما فاتهم من قتيلهم، وهم يقتسمونها اقتسام الميراث، إلا أن يتصدق أولياء



المقتول بالدية على القاتل فلا تجب عليه، وإن كان المقتول من قوم محاربين لنا وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة فحسب ولا يعطى المحاربون لنا دية حتى لا يتقووا بها علينا، وإن كان أولياء القتيل أهل ذمة أو هدنة فلهم دية قتيلهم، ويجب على القاتل أيضًا تحرير رقبة مؤمنة، وذلك لأن الإسلام حرم قتل الذميين والمعاهدين كما حرم قتل المؤمنين، وبعد أن بينت الآية هذه الأحكام قال الله تعالى: ﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله﴾ أي: فمن لم يجد رقبة يعتقها كأن انقطع الرقيق، أو لم يجد المال الذي يشتريها به، فعليه صيام شهرين متتابعين، لا إفطار بينهما، فإن أفطر يومًا من غير عذر شرعي استأنف، وذلك توبة من الله، أي أن الله جعل توبة القاتل خطأ إذا لم يجد العتق صيام شهرين متتابعين، وهذا يدل على فضل الصيام حيث جعله عوضًا عن عتق الرقبة عند عدمها، وهو يدل على أن الصيام يطهر النفس ويخلصها من أدران الإثم.

٤- الصيام كفارة في الأيمان:

قال تعالى: لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ [المائدة: ٨٩]، وهذه الآية بدأ الله فيها الحديث عن لغو اليمين، وهو قول الرجل في الكلام من غير قصد: لا والله، وبلى والله، وقد رجح ذلك الحافظ ابن كثير(٧)، بدليل قوله تعالى: ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ أي: بما صممتم عليه من الأيمان وقصدتموها، ثم ذكر سبحانه كفارة اليمين التي صمم عليها الحالف، ثم بين سبحانه أن من عجز عما ذكر في الآية فعليه أن يعدل إلى الصيام وحدده بثلاثة أيام، وذلك كفارة عن اليمين التي وقع فيها، والشاهد أن الصيام جُعل عوضًا عن إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، وهذا يدل على مكانة الصيام ومنزلته لقيامه مقام الكفارات السابقة.

٥- جعل الله الصيام من أنواع الكفارات لمن قتل الصيد وهو محرم. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم﴾ [المائدة: ٩٥]، وقد بينت هذه الآية أن المحرم لا يجوز له أن يقتل صيدًا، ومن قتل صيدًا وهو محرم، فكفارته أن يذبح بهيمة من الأنعام من مستوى الصيد الذي قتله وتذبح في الحرم كما قال تعالى: ﴿هديا بالغ الكعبة﴾، على أن يتولى تقدير المثلية عدلان من المسلمين، أو كفارة طعام مساكين بما يعادل ثمن الهدي المقدر، أو صيام بعدد المساكين الذين كان ينالهم الإطعام.

٦- الصيام من كفارات الظهار: قال تعالى: ﴿والذين يظاهرون من نسائهم...﴾ [المجادلة: ٤].

ومنطوق الآيات واضح وصريح في جعل الصيام كفارة في الظهار إذا لم يجد المظاهر رقبة يعتقها، وهذه الآيات نزلت في أوس بن الصامت لما قال لزوجه: «أنتِ عليَّ كظهر أمي».

وهذا إن دلَّ على شيء فهو يدل على مكانة الصيام في الإسلام.

أسأل الله عز وجل أن يتقبل من الصائمين صومهم وقيامهم وجميع أعمالهم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش

١- أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب ٢ ج١/٤٩، ومسلم في كتاب الإيمان باب ٥ ج١/٤٥.

٢- البخاري كتاب التفسير باب ٣٢ ج٨/١٨٦.

٣- تفسير ابن كثير ج١/٣٣٨.

٤- البخاري كتاب الحج باب ١٠٤ ج٤/٥٣٩.

٥- محاسن التأويل للقاسمي ج٣/٤٩٠.

٦- انظر المرجع السابق ١٤٤٥.

٧- تفسير ابن كثير ج٢/١٦٣.

محبطات الأعمال

كراهة القرآن الكريم

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله، مَن اعتصم بحبله وفقَّهُ وهداه، ومن اعتمدَ عليه حفظَه ووقاه، وأصلي وأسلم على النبي محمد عبده ورسوله ومصطفاهُ، وبعد:

فمع المحبط الثالث للأعمال وهو: كراهة القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٨، ٩].

والمعنى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ﴾ أي: تعسوا تعسًا وهلكوا هلاكًا، وخابوا وخسروا. والتعس: الشقاء، ويطلق على الهلاك والخيبة والسقوط والانحطاط.

﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾: فلم يعثروا عليها ولم يروا لها أدنى فائدة، «ذلك» الجزاء وتلك العقوبة، «بأنهم» أي: بسبب أنهم ﴿كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي: من القرآن من آيات التوحيد والشرائع والأحكام.

«فأحبط» أي: لذلك «أعمالهم» فخسروا في الحياتين. [أيسر التفاسير ٥/٧٤].

يرجع الإضلال والتعس للذين كفروا بسبب أنهم كرهوا ما أنزل الله من القرآن الذي أنزله صلاحًا للعباد وفلاحًا لهم، فلم يقبلوه، بل أبغضوه، وكرهوه فأحبط أعمالهم. [تيسير الكريم الرحمن ٨/٦٧].

القرآن: هو كلام الله الذي عجزت الإنس والجن على أن يأتوا بسورة من مثله.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

وهو الكتاب المبين الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، نزل به في ليلة مباركة- هي: ليلةُ القدر- جبريلُ الأمين وحيًا من الله رب العالمين على نبيه سيد ولد آدم محمد ﷺ؛ ليكون رحمةً للعالمين، وهداية للخلق عامة، ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

فكانوا به خير أمةٍ أُخرجت للناس، وأفضلَ جيل وطئت قدمُه الأرض.

وهو الملاذُ عند الفتن لمن استمسك به، وهو المنقذُ عند المصائب والمحن لمن اهتدى بهديه: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

وهو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية:

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].

يفهم من مفهوم هذه الآيات: أنَّ غير المؤمنين ليس هذا القرآن هدًى لهم ولا شفاء، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

لما سمعت الجنُّ رسول الله ﷺ يقرأ القرآن آمنوا به، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣١].

وإنَّ من جملة ما وصف الله به كتابه العزيز: أنَّه مهيمن على ما جاء قبله من الكتب، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وحقيقة هيمنة القرآن على ما قبله من الكتب: هي المحافظة على ما كان فيها من الحق، وإبطال ما أُدخل فيها أو نُسب إليها من الباطل.

ومن لوازم ذلك أنَّ الدِّين الذي جاء به القرآن ليس بدين جديد، بل هو امتداد للدين الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب من لدن آدم عليه السلام إلى زمن محمد ﷺ.

وهذا واضحٌ في القرآن والسنة ومتفق عليه بين أهل الإسلام، فالدِّين واحد عند الله سبحانه وتعالى في كل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]. وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال النبي ﷺ: «الأنبياء إخوة لِعلَّات، أمهاتُهم شتَّى ودينُهم واحد». [متفق عليه].

ومفهوم هيمنة القرآن على ما قبله من الكتب تتضح جليًا بقوله تعالى: ﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٤٨]، مع ضمه إلى ما قبله الذي طلبه فيه من اليهود أن يحكموا بما أنزل الله في التوراة، فإنَّ ذلك يفيد أنَّ الذي عليه أهل الكتاب منه ما هو مُنَزَّلٌ من الله سبحانه وتعالى، وهو الحق، ومنه ما اخترعوه أو اختاروه من عند أنفسهم، وهو الذي عبَّر عنه بالأهواء، فالقرآن الكريم نزل مصدقًا للأول، ونافيًا للثاني.

وهذا المعنى موجودٌ في القرآن إجمالاً وتفصيلاً.

يقول الله تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٣]، ويقول عنهم: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٣) إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٣، ٤٤].

فجاء هذا الطلب- طلب تحكيم ما أنزل الله في التوراة- بجنب ما صرَّح به الله سبحانه وتعالى عن اليهود بأنهم ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ١٣].

وأنهم: ﴿ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٩].

فبين أنهم لبسوا الحق بالباطل، وزادوا في الدِّين ما ليس منه، ثُمَّ دلَّهم على ما يعرفون به حقَّهم من باطلهم، فقال: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

فجعل محمدًا ﷺ وما جاء به من القرآن معْيارًا يعرفون به حقهم من باطلهم، ولذلك قال لهم في صراحة وصرامة: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ

مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

كتابٌ كريم أودعَ الله قوَّتَهُ في ذاته، حاولَ الأعداءُ قديمًا وحديثًا العبثَ به، والتشويشَ في صدقه، فأجلبوا وتنادوا ﴿لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

شككوا في تَنَزُّله، وطعنوا في جمعه وتدوينه، ولكنها محاولاتٌ هزيلةٌ، رجعوا على أعقابهم خاسئين.

استمعوا إلى القرآن وهو يسجل هذه الدعاوى المخزية في أسلافهم وأخلافهم: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان: ٥]، ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾ [القصص: ٣٦].

ولما عجزوا واندحروا رضوا لأنفسهم بالدنية والنقيصة فقالوا: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [النساء: ١٥٥]، ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥].

فهل يعي المسلمون هذه المعاني ؟ إن الأمة تحتاجُ إلى أن تراجعَ مواقفها من قرآن ربها عز وجل، فالقرآنُ حقٌ من عند الله، من بين دفتيه انطلقت خيرُ أمة أخرجت للناس: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: ١]، أمةٌ خيرةٌ تربتْ على مائدة القرآن، أخذتْ كتابَ ربِّها بقوة، وسارتْ على نهجه بعزم، خضعتْ لتعاليمه بإيمانٍ فهداها للتي هي أقوم.

هؤلاء الأسلافُ من الروّاد قرءوا القرآن فأحيوا به ليلهم رهبانًا، وعمروا به نهارهم فرسانًا، تفيض أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق، يغشاهُم الخشوعُ، ويكسوهُم الوقارُ، كان القرآنُ ربيعَ قلوبهم، ونورَ صدورهم، وجلاءَ أحزانهم، تأدبتْ به أخلاقُهم، وعمرتْ بالتقوى مسالكُهم، قوةً في الحق، وورعًا في المطاعم والمشارب وبصرًا بأهل الزمان: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

لهم من قرآنهم ما يحثُّ عزائمهم إذا كلَّتْ، ويحفزُ هممهم إذا ضعفت، ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

فالقرآنُ عمدة الملة، وكلية الشريعة، وينبوعُ الحكمة، وآية الرسالة، لا طريق إلى الله سواه، ولا سبيل إلى النجاة بغيره.

هل يُدْعَى إلى الله بغير كتاب الله ؟ وهل يرجى صلاحُ عباد الله بغير كتاب الله ؟

هو البيانُ والفرقانُ، والروحُ والذكرُ، هدًى للمتقين، ورحمةٌ للمؤمنين، آياتٌ بيناتٌ في صدور الذين أوتوا العلم، وذكرى لمن كان له قلب، أحسنُ الحديث، وأصدق الكلام، وشفاء لما في الصدور.

نعمةُ الله السابغةُ، وحجتُهُ الدامغةُ، نور الأبصار والبصائر، أنزله ربنا وصرَّفه وعدًا ووعيدًا، وأمرًا وزجرًا، وحكمًا وعلمًا، ورحمةً وعدلاً.

كتابٌ لا تفنى عجائبه، وبحرٌ لا يدرك غَوْرُه، وكنزٌ لا تنفدُ دررهُ، وغيثٌ لا تُقْلِعُ عن المدرار سحائبُه، أنزله ربنا لنقرأه تدبرًا، ونتأمله تبصرًا، ونسعد به تذكرًا، ونلتزمَ بأوامره طمعًا، ونجتنبَ نواهيه خوفًا.

تحيا القلوبُ بمواعظه، وتطمئنُ النفوسُ بترتيله، وتقومُ الحياة بأحكامه، وتعمُّ السعادةُ بآدابه.

أسلوبُه رفيعٌ ونظمُه بديعٌ، لفظُه معجزٌ، ونظْمُه باهرٌ: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

لم يَشُبْ بيانه غموضٌ ولم يعبْ لفظَهُ ضعفٌ، ولم يدخلْ معانيهُ قصورٌ: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. اهـ. (بتصرف من توجيهات وذكرى، للشيخ صالح بن حميد ٤/٢٣).

وبذلك يظهر لنا جليًا أن الحيرة التي يترددُ فيها العالمُ، والظلمات التي يتخبَّطُ فيها، والضَّنْك الذي سُلطَ عليه إنما سببه الأوحد: هو الإعراض عن القرآن، فإن صدقت النوايا في الخروج من هذه الحيرة وهذه الظلمات، والتخلص من هذا الضَّنْك، فإن الحلَّ الأوحدَ: هو الإقبالُ على القرآنِ تلاوةً وتدبرًا وفهمًا وعملاً وتعليمًا.

ومن أحبَّ أن يعلم حاله ويختبر عمله، فليعرض نفسه على كتاب الله.

يقول الحسن البصري رحمه الله: رحم الله امرءًا عرضَ نفسه وعمله على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله حمد الله وسأله المزيد، وإن خالف أعتبَ نفسه وحاسبها ورجعَ من قريب.

«اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألكَ بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي».

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الشهادات الرمضانية

لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله بن حميد
إمام الحرم المكي

الحمد لله، أرشَدَ النفوس إلى هُداها، وحذَّرها من رداها، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس:٩، ١٠]، أحمده سبحانه وأشكره على نعمٍ لا تُحصَى وآلاء لا تتناهَى، وأشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له رضينا به ربًا وإلهًا، وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله أعلى الخلق منزلة وأعظمُهم عند الله جاهًا، صلى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ما طلعت شمس بضحاها، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أمّا بعد: فأوصيكُم- أيّها النّاس- ونفسي بتقوَى الله عزّ وجلّ، فاتقوا اللهَ رحمكم الله، واغتنموا مواسمَ الأرباحِ فقد فُتِحت أسواقها، وداوموا قرعَ أبواب التوبة قبل أن يحينَ إغلاقها. الغَفلةُ تمنَعُ الرِّبحَ، والمعصيةُ تقودُ إلى الخُسران. الواقفُ بغير بابِ الله عظيمٌ هوانُه، والمؤمِّل غيرَ فضلِ الله خائبةٌ آماله، والعاملِ لغير الله ضائعةٌ أعمالُه. الأسباب كلُّها منقطِعة إلا أسبابه، والأبوابُ كلّها مغلَقة إلا أبوابُه. النّعيمُ في التلذُّذ بمناجَاة الله، والرّاحة في التّعَب في خدمةِ الله، والغِنى في تصحيحِ الافتقارِ إلى الله.

أيّها المسلمون، الأيّام تمرُّ عجلَى، والسّنون تنقضي سراعًا، وكثيرٌ من الناسِ في غمرةٍ ساهون وعن التّذكرة معرِضون، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان:٦٢].

ولما كان العُمر- يا عبادَ الله- محدودًا وأيّامُ العَبدِ في هذه الدّنيا معدودَة فقد امتنّ الله على عبادِه بمواسمِ الخيرات ومِنَح النّفحات، وأكرَمَ بأيّامٍ وليالٍ خصّها بمزيدٍ منَ الشّرَف والفَضلِ وعَظيمِ الثّواب ومُضاعَفة الأجر، وجعَل فيها بمنّه وكرَمِه ما يُعوِّض فيه الموفّق قِصَرَ حياتِه وتقصيرَ أعماله. وإنّ أيّامَكم هذه من أفضلِ الأيّام، وهذه العَشرُ الأخيرةُ هي الأفضَلُ والأكرَم.

أيّها المسلمون، ما أحوجَ العبدَ إلى موقفِ المحاسبة في هذه الأيّام الفاضلة، إنها مناسَبة مناسِبة من أجل التّغيير والتصحيح والإصلاح في حياة الفرد وفي حياة الأمة. يقول رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم: «إذا دخل رمضانُ فتّحت أبواب الجنّة وغلّقت أبوابُ النار وسُلسِلت الشياطين» أخرجه الترمذي، وفي روايةٍ أخرى: «إذا كانَ أوّل ليلة من رمضانَ صُفِّدت الشياطين ومردَةُ الجنّ، وفُتِّحت أبواب الجنة فلم يغلَق منها باب، وغلّقت أبواب النار فلم يُفتَح منها باب، وينادي

منادٍ: يا باغيَ الخير أقبل، ويا باغيَ الشرِّ أقصر، ولله عتقاءُ من النّار، وذلك كلَّ ليلة». إنها فرصة للمحاسبة وفرصةٌ للإصلاح وفرصة للتغيير، «يا باغيَ الخير أقبل، ويا باغيَ الشرّ أقصر».

معاشرَ المسلمين، ومن أجلِ مزيدٍ منَ التأمُّل واستشعارٍ جادٍّ للمحاسَبَة وإدراكٍ عميق لهذه الفرصَة السانحة هل تأمَّلتم في دعاءٍ يردِّده المسلمون في هذا الشهرِ الكريم، وبخاصّةٍ في مثل هذه الأيام حين تبدأ أيّام الشهر في الانقضاءِ وهلاله بالأفول، ويستشعرون فِراقَه ويعيشون ساعاتِ الوداع ومشاعِر الفِراق، دعاءٌ يصاحبه دفقٌ شعوريّ مؤثّر من القلوبِ الحيَّة والنفوسِ المحلّقة نحوَ السموّ بشعورٍ إيمانيّ فيّاض، يرفَعون أيديَهم مُناشدين ربَّهم ومولاهم: «اللهمَّ اجعله شاهدًا لنا، لا شاهدًا علينا». هل تأمَّلتم هذا الدعاءَ؟! وهل فحَصتم مضامينَه وعواقبَه وحقيقتَه ونتيجتَه؟!

أيّها الصائمون، إنّ شهادةَ شهرِ رمضان غيرُ مجروحة، إنّه موسم يتكرّر كلَّ عامٍ، يشهد على الأفرادِ، ويشهَد على الأمة، إنّه يشهَد حالَكم، فهل سيشهَد لنا أو يشهَد علينا؟! يرقب حالَنا؛ هل سوف يزدرينا أو سوفَ يغبِطنا؟! ماذا في استقبالنا له؟! وماذا في تفريطنا فيه، بل في كلّ أيّام العام والعُمر؟ هل نجتهد فيه ثم نضيِّع في سائرِ أيّام العام؟!

عبادَ الله، الأيّام تشهَد، والجوارحِ تشهد، والزّمان يشهد، والمكان يشهَد، إنّ تأمُّلَنا في شهادة هذا الشهر الكريم لنا أو علينا فرصَة عظيمةٌ صادقة جادّة في المحاسبة ومناسبةٌ حقيقيّة نحو التغيير والتعويض، «يا باغيَ الخير أقبل، ويا باغيَ الشرّ أقصر». وقد يكون لشهادةِ رمضان المعظَّم نوعٌ من التميُّز ولونٌ من الخصوصيّة، لماذا؟ لأنّ شهرَ رمضانَ هو شهر الصبر، شهر مقاومة الهوى وضبطِ الإرادة ومقاومة نزوات النفس ونوازعها.

شهر رمضان- معاشرَ الصائمين- ميدانُ التفاوت بين النفوسِ الكبيرة والنفوسِ الصغيرة، بين الهِمَم العالية والهِمَم الضعيفة. هذا الشهرُ الشاهد فرصةٌ حقيقيّة لاختبار الوازِع الداخليّ عند المسلم، الوازع والضمير هو محوَر التربية الناجحة.

ومن أجل مزيد من التأمُّل والنظَر والفحص في هذه الشهادةِ الرمضانية فلتنظُروا في بعض خصائصِ الصّيام وأحوال الصائمين. الصّوم سرٌ بين العبدِ وبين ربِّه، وقد اختصَّه الله لنفسِه في قوله سبحانَه في الحديث القدسي: «الصّوم لي وأنا أجزي به، يدَع طعامَه وشرابه وشهوتَه من أجلي».

أيّها الإخوة في الله، الصومُ عن المفطّرات الظاهِرَة يسيرٌ غير عسير لكثيرٍ من الناس، يقول ابن القيم رحمه الله: «والعبادُ قد يطّلعون من الصائمِ على تركِ المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامَه وشرابه وشهوتَه من أجل معبودِه فهو أمر لا يطّلع عليه بشَر، وتلك حقيقة الصوم».

واقرِنوا ذلك- رحمكم الله- بقوله ﷺ: «من صامَ رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غفِر له ما تقدّم من ذنبه، ومن قام رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غفِر له ما تقدّم من ذنبه، ومن قام ليلة القدرِ إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدّم من ذنبه». مَن- تُرى- يحقّق الإيمانَ والاحتساب على وجهه يا عباد الله؟! «يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر».

تأمّلوا أحوالَ بعض الصائمين مع الطعامِ وفضول الطعام، يسرِفون على أنفسِهم في مطاعمهم ومشاربِهم ونفقاتهم، يتجاوَزون حدَّ الاعتدال والوسَط، ساعدهم في ذلك إعلامٌ هَزيل قد جعَل مساحاتٍ هائلةً للأكل والموائد مع ممارساتٍ غير سويّة من التجارِ والمستهلكين.

وتأمّلوا- حفظكم الله- وأنتم في رحابِ هذا الشهرِ الشاهد، تأمّلوا أحوالَ بعض الغافلين الذين يضيِّعون هذه الأوقاتَ الفاضلةَ والليالي الشريفة مع اللهوِ والبطّالين فيما لا ينفَع، بل إنّ بعضها فيما



يضرّ ويُهلك ويفسد الدّينَ من الغيبة والنميمةِ والمسالك المحرَّمة، انقلبت عليهم حياتهم ليجعَلوا نهارَهم نومًا وليلَهم نهارًا في غير طاعةٍ ولا فائدة، لا لأنفسِهم ولا لأمّتهم، تجمّعاتٌ ليليَّة، إمّا تضييع للواجباتِ والمسؤوليات، وإمّا وقوع في المنهيّات والمهلكات، يعينهم في ذلك قنواتٌ وفضائيّات في مسلسلاتٍ هابطة وبرامجَ للتسلية هزيلة.

بل إنّ التأمّلَ في فضول الكلام- أيّها الصائمون- لا ينقضي منه العجَب، حتى في أحوالِ بعض الصالحين والمتعبِّدين ممن ينتسب للعلم والدّين والدعوة، فلا يكاد الغافِل منهم يُفكِّر في فضولِ الكلام فضلاً عن أن يفكِّر في تجنُّبِه، ولكثرةِ كلامهم فقدوا السَّمتَ وقلَّت عندهم الحِكمة وخلَطوا الجدَّ بالهزل، ناهيكم في الوقوعِ في داء الغيبةِ والنميمة والكذبِ والرياء والسمعة.

ومن المعلوم أنّ كثرةَ الخُلطةِ وبخاصّة في أوقات التعبُّد تدعو إلى فضولِ الكلام وتضييعِ الأوقات وكثرةِ الانشغالات وتقعِد عن المناجاة، ولاحظوا ذلك في أحوالِ بعض المعتكِفين هداهم الله وأصلَح بالَهم، يعتكِفون جماعاتٍ، فينفتِح بينهم الحديث وتتّسِع أبوابه، بل قد يكون المعتكَف مجلبَةً للزائرين ومكانًا للتّجمّع مما يُبعِد عن هدي الاعتكافِ وحِكمته، يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله: «كلُّ هذا تحصيل لمقصودِ الاعتكاف وروحِه عكسَ ما يفعَله الجهّال من اتّخاذ المعتكَف موضعَ عشرَةٍ ومَجلَبَة للزائرين وأخذهم بأطراف الحديث بينهم، فهذا لونٌ والاعتكاف النبويّ لونٌ آخَر». وفي هذا يقول بعض الحكماء: «إذا أردتَ أن يعتزلَك الناس فدَع الحديثَ معَهم، فإنّ أكثرَ مُواصلةِ الناس بينهم بالكلام، فمن سكَت عنهم اعتزلوه».

معاشرَ المسلمين، هذه إشاراتٌ ووقفَات لما قد تكون عليه هذه الشهادات في أحوالِ بعض الصائمين والمتعبِّدين، «يا باغيَ الخير أقبل، ويا باغيَ الشر أقصر».

أيّها المسلمون، هل ندرك ونحن نتأمّل هذه الشهاداتِ الرمضانية أننا أصبَحنا في أمَسِّ الحاجة إلى التغيير وأننا لا نزال يملؤُنا التفاؤُل بغدٍ أفضَل وواقع أمثَل. إنّ وسائلَ العلاج وأدواتِ النجاح ليست عنّا ببعيد، فنحن أمّةُ القرآن وأمّة محمّد ﷺ، أمّة هذا الشهر الكريم الشاهد، ونحن الأمّةُ الشاهدة.

منهجُ التغيير والإصلاحِ يتمثَّل في هذه الآية الكريمة الجامعة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]، وفي النداء الرمضانيّ الصادح: «يا باغيَ الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر».

ليس الإصلاحُ بالاكتفاء بالنقد والتلاوُم وتحويل المسؤولية على الأعداءِ والخصوم، إنّ على المسلم الصادقِ الجادّ المحبِّ الخيرَ لنفسه وصادقِ الغيرة على أمّته أن يتّقيَ الله ربَّه ويدركَ الغاية من هذه الحياة والوظيفةَ في هذه الدنيا، فيحفظ وقتَه ويستغلّ شريف أيّامِه وفاضلَ أوقاته وينطلِق نحو التغيير والإصلاح، فيعيش حياةً جادّة حازِمة متوازنَة، فلا يغرَق في المباحاتِ على حساب الفرائض والواجبات، كما يجب ترويضُ النفس وتدريبها على ملازَمَة الأعمال الصّالحة وتحَرّي السنّة وصدق المتابعة لهدي المصطفى ﷺ.

أيّها الإخوة المسلمون، إنّ هذه العشرَ الأخيرة فرصةٌ حقيقيّة لاختبارِ النفس في التّغيير نحوَ الأفضل والأحسن. ليس من الصعبِ بتوفيقِ الله وعونه تغييرُ النفس وقطعُها عمّا اعتادته لمن أخلصَ نيّته وصدقَ في عزيمته، يقول المنذر بن عبيد: تولى عمر بن عبد العزيز رحمه الله بعد صلاة الجمعَة فأنكرتُ حالَه في العصر.

وإنّ من الدلائلِ على التغييرِ ومَظاهر الهِمّة وقوّة العزيمة وضَبط الإرادة في هذا الشهرِ شهرِ الصبر الاجتهاد في العمَل والإحسان في هذه الأيّام العشر



تأسِّيًا بالقدوةِ والأسوة نبيِّنا محمَّد ﷺ، فقد جعل رمضانَ كلَّه فرصةً للاجتهاد، كما خصَّ العشرَ باجتهاد، تقول عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يجتهِد في رمضان ما لا يجتهد في غيرِه، وكان يجتهِد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها.

وتسمُو الهمّة ويتجلّى التوجّه نحوَ التغيير حينما يجتهِد العبدُ ليفوزَ بإدراك ليلة القدر، فيعمَل ويتحرَّى، فتسمو النّفس وتعلو الرغائب للوصول إلى أسمى المراتِب وأعلى المطالِب؛ توبةٌ وإقلاع وعزمٌ على الإصلاحِ والإحسان، وتأمّلوا هذا الحديثَ العظيم وما فيه من الحثّ ووقفاتِ المحاسبة: «رغِم أنفُ رجلٍ دخَل عليه رمضانُ ثم انسلَخَ فلم يُغفر له».

معاشرَ الأحبَّة، أروا الله من أنفسِكم خيرًا؛ صيامُ نهارٍ وقيامُ ليلٍ واعتكاف وقراءةُ قرآن وذِكرٌ وصدَقات ودُعاء ومحاسبة ومراجعة وندمٌ وتوبَة وعزمٌ على فعلِ الخيرات، «يا باغيَ الخير أقبِل، ويا باغيَ الشرّ أقصِر».

وبعد: أيّها الصائمون، فلِحكمةٍ عظيمة جاءت آيةُ الدعاء في ثنايا آياتِ الصيام: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]، ولحكمةٍ عظيمة وسرٍّ بليغ خُتِمت آيات الصّيام بهذه الآية الواعظة: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٧].

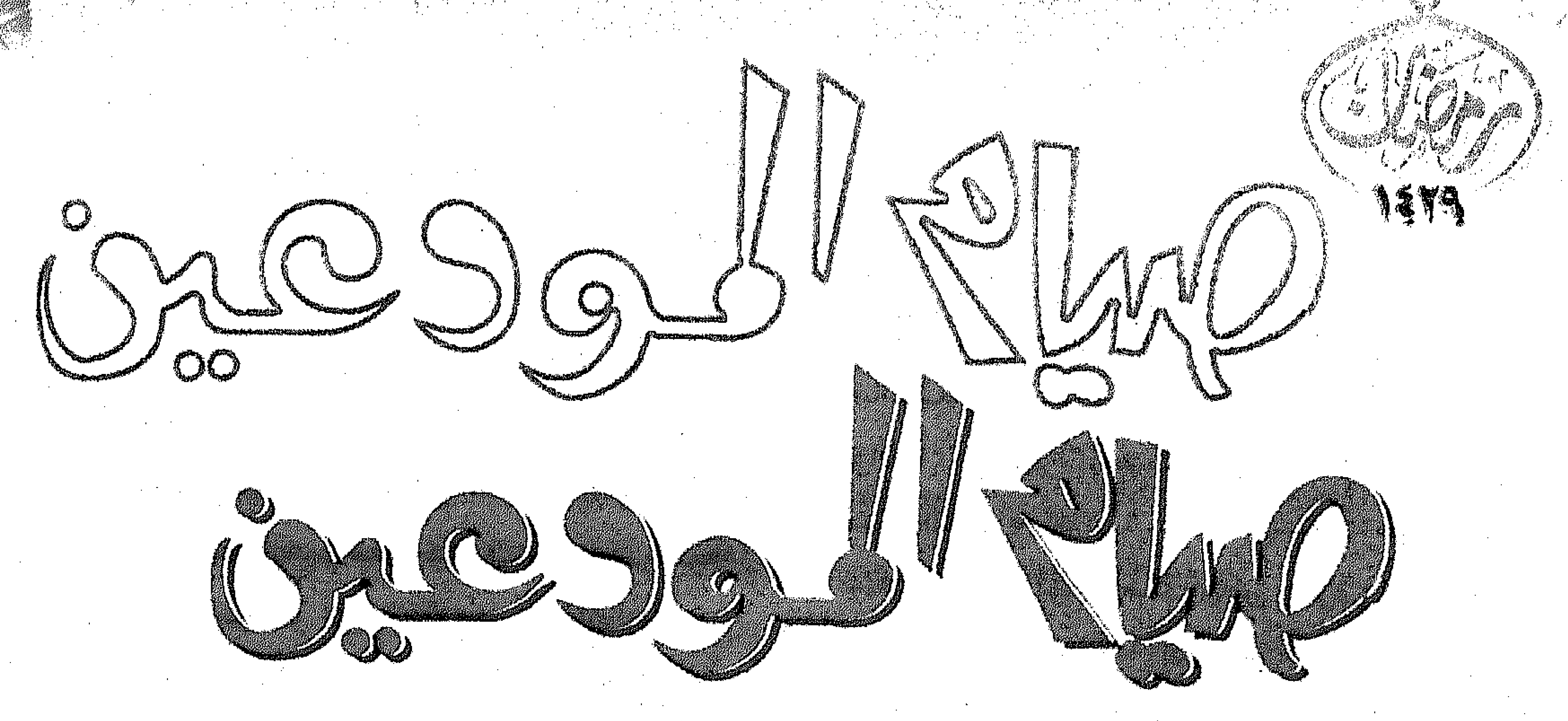
نفعني الله وإيّاكم بالقرآنِ العظيم وبهديِ محمّد ﷺ، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كلّ ذنب وخطيئة، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم.

أيّها المسلمون، والحديثُ عن الشهادةِ الرمضانية وفُرصِ التغيير والإصلاح، فإنّ شهرَ رمضان موسِم عظيمٌ من مواسم الخير وزمَنٌ شريف من أزمِنَة النفحات، يغتنِمه الأتقياء الصالحون للاستزادَة من صالح العمل، ويُلقي بظلّه الظليل على العصاةِ الغافلين والمقصّرين فيتذكّرون ويندَمون ويتوبون، فالسعيدُ السعيد من كان شهرُه مجدِّدًا للعزم والطاعةِ وحافزًا للتمسّك بحبل الله وفرصةً للتزوّد بزاد التقوى، حاديه في ذلك وسائقُه همّةٌ عالية ونفسٌ أبيّة لا ترضى بالدّون من العزمِ والعمَل، يقول ابن القيم رحمه الله: «إذا طلع غَيمُ الهمّة في ليل البَطالة وأردَفه نور العزيمةِ أشرقت أرضُ القلب بنور ربها».

على أنّه ينبغي- أيّها المسلمون- لذوي الهِمَم العالية وطلاّب الكمالاتِ أن يعرفوا الطبيعةَ البشرية والضَّعفَ الإنساني، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٧، ٢٨]، وفي مثل هذا يقول بعض أهلِ العلم والحكمة: إنّ منَ الخطأ والخَطَل أن ينزِعَ الرجل إلى خصلةٍ شريفةٍ من الخير، حتى إذا شعَر بالعجز عن بلوغِ غايتِها انصرَف عنها والتحَق بالطائفة الكسولةِ التي ليس لها همّة في هذه الخَصلة ولا نصيبٌ، ولكن الطريقَ الصحيح ونهجَ الحكمة ومنهجَ السعادة أن يذهبَ في همته إلى الغاياتِ البعيدة ثم يسعَى لها سعيَها ولا يقِف دونَ النهايةِ إلا حيث ينفَد جهده ويستفرِغ وسعَه.

ألا فاتقوا الله رحِمكم الله، واعلموا أنّ إدراكَ هذا الشهر والإحسان فيه نعمةٌ عظيمة وفضلٌ من الله كبير، لا يحظى به ولا يوفَّق إلا مَن منَّ الله عليه بجودِه وإحسانه وفتَحَ عليه أبوابَ الخيرات، فتنافسوا- رحمكم الله- في الطاعاتِ، وازدادوا من الصالحات، وجِدّوا وتحرَّوا ليلةَ القدر، وتعرَّضوا لنفحاتِ ربِّكم.

تقبّل الله منا ومنكم الصيامَ والقيام وسائرَ الطاعات، إنه سميع مجيب.



إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن استشعار الوداع يعطي دافعًا للمرء ليزيد في عمله.

وهذا الشعور يضاعف في نفسه ضرورة اغتنام الأوقات التي قد لا تعود، من ذلك قول الصحابة الأبرار للنبي ﷺ عندما وعظهم موعظة بليغة ذرفت منها العيون، وخشعت لها القلوب: كأنها موعظة مودع، وكذا في حجة الوداع قال لهم ﷺ: «لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا».

وهذا الشعور بالوداع وَلَّدَ عندهم دافعًا للاستماع والإنصات يفوقه في أي وقت آخر، ومن هنا ندرك معنى قول النبي ﷺ لأحد أصحابه: «إذا قمت في صلاتك، فصلِّ صلاة مودع».

بهذه النظرة يجب أن نستقبل شهر رمضان استقبال المودعين، وهذا لا ينافي استقباله بالفرح والبشرى، بشرى الشوق لبركاته ورحماته في كل ساعاته وأوقاته، وقد كان ﷺ يبشر أصحابه بقدوم هذا الضيف الكريم بقوله ﷺ: «قد جاءكم رمضان، شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه، فيه تفتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران».

أليس من الحرمان عدم اغتنام الأوقات في شهر هذه صفاته وتلك نفحاته.

لقد كان سلفنا الصالح يترقبون هذا الشهر ويدعون الله عز وجل أن يسلمهم رمضان، فإذا وُفقوا لطاعة الله وهدوا إلى عبادته دعوا الله أن يتقبل منهم.

وحول هذا المعنى يقول ابن رجب- رحمه الله-: «إن بلوغ شهر رمضان وصيامه نعمة عظيمة على من أقدره الله عليه، ويدل عليه حديث الثلاثة الذين استشهد اثنان منهم، ثم مات الثالث على فراشه بعدهما، فرئي في النوم سابقًا لهما، فقال النبي ﷺ: «أليس صلى بعدهما كذا وكذا صلاة، وأدرك رمضان فصامه، فوالذي نفسي بيده، إن بينهما لأبعد مما بين السماء والأرض». (أخرجه أحمد في مسنده، وصححه الألباني).

أتى رمضان مزرعة العباد
لتطهير القلوب من الفساد
فأد حقوقه قولاً وفعلاً
وزادك فاتخذه للمعاد
فمن زرع الحبوب وما سقاها
تأوه نادمًا يوم الحصاد



فهيا بنا أخي المسلم نستحضر شعور صيام المودعين، هيا نخص الشهر الكريم بمزيد من الاعتناء.

وتحقيق هذا عن طريق:

- الحرص على عدم تضييع صلاة الجماعة وإدراك تكبيرة الإحرام للفروض الخمس.

والحرص على تلاوة القرآن بتدبر وتأمل؛ التلاوة من أجل العمل وإقامة الحدود قبل سرد الحروف.

- إدخال السرور على الفقراء والمساكين واليتامى بالتوسعة عليهم وبذل المعروف لهم.

- الحرص على اغتنام الأوقات في الطاعات من تسبيح وتهليل واستغفار وعدم التفريط في الأوراد.

- الحرص على صلاة القيام فهي شرف المؤمن كما أخبر النبي ﷺ حيث أخبر أن جبريل قد أوحى إليه فقال: «يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس».

وقيام رمضان يختلف عن قيام غيره لشرف الزمان فضلاً عن أن له خاصية قال فيها ﷺ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه».

- الإكثار من الصدقة حيث كان ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان.

- الحرص على أداء العمرة في هذا الشهر الكريم، فعمرة فيه تعدل حجة فيما سواه لشرف الزمان، فحرمته الزمانية تعدل حرمة مكة المكانية.

- الحرص على اعتكاف العشر الأواخر منه، والانقطاع للعبادة، وترك الدنيا بفتنتها وشهواتها.

- الحرص على غض البصر عن المحرمات في هذا الشهر الكريم حتى يألف العبد الطاعة بقية العام، وحفظ البصر واللسان يضمنان للمؤمن الجنة كما قال ﷺ: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة». رواه البخاري.

وفي قوله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة». رواه الترمذي.

- الحرص على حفظ اللسان من الغيبة والنميمة والكذب والهمز واللمز والزور، وقد قال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». رواه البخاري.

وقال ﷺ: «الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يسخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم». أخرجه مسلم.

ورمضان فرصة لتعويد اللسان على الصمت والعبودية، وعبودية اللسان قسمها ابن القيم إلى واجب ومستحب ومحرم ومكروه.

- الحرص على تعاهد الدعاء في هذا الشهر الكريم فليس شيء أكرم على الله من الدعاء، ورب العالمين يحب من عبده أن يسأله، وهو جل شأنه حيي كريم ستير يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا، وللصائم عند فطره دعوة لا ترد، وكذا كان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما إذا أفطر دعا أهله وولده عند الفطر ودعا الله.

أسأل الله أن يتقبل منا الصيام والقيام، وأن يحسن ختامنا، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل والسر والعلن، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



من هدي رسول الله

مراجعته للقرآن

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن: فإذا لقيه جبريل عليه السلام، كان أجود بالخير من الريح المرسلة. [صحيح البخاري].

من نور كتاب الله

رمضان شهر الدعاء

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

رمضان شهر الصيام والقرآن

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد، يقول الصيام: أي رب إني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان». [مسند الإمام أحمد].

رمضان شهر الخير والرحمات

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إذا كانت أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ونادى مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة». [سنن ابن ماجه].

دعاء رؤية الهلال

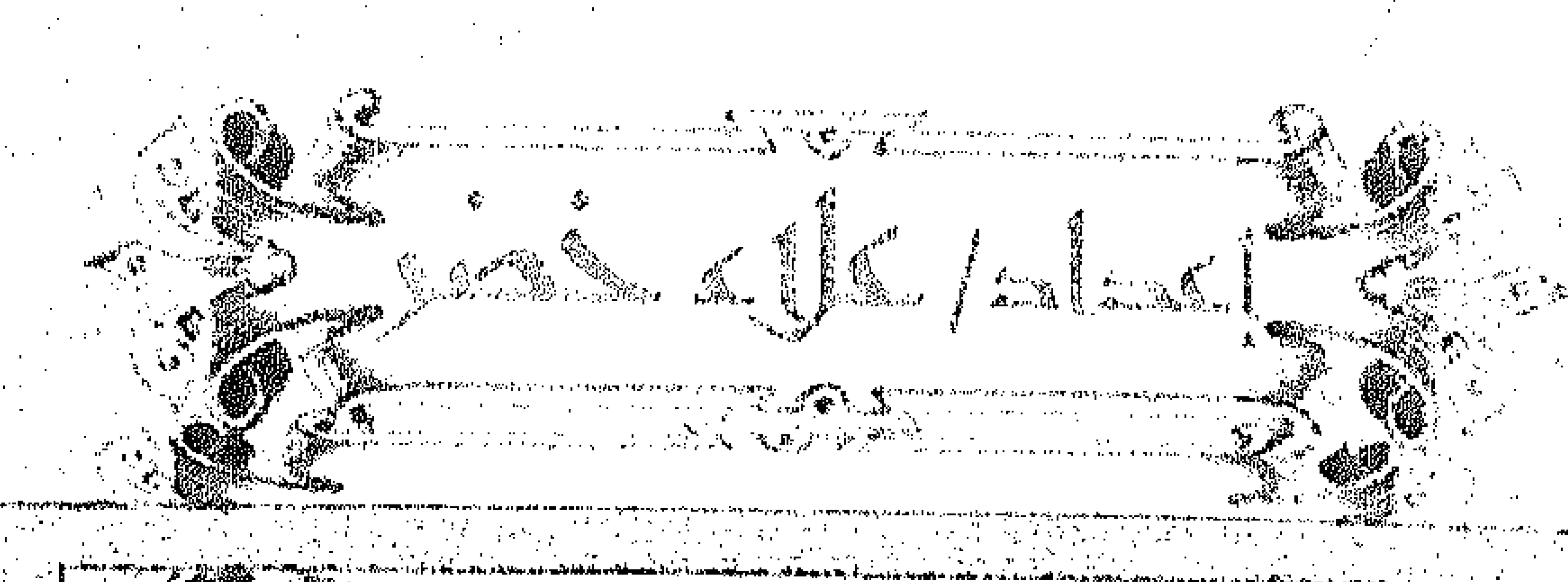
عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله. [رواه الترمذي].

من الخاسر في رمضان؟

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ رغم أنف رجل (أي خاب وخسر) دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له. [الترمذي].

رمضان شهر التربية

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل إني صائم إني صائم. [صحيح ابن خزيمة].



رمضان شهر الاجتهاد في العبادات

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يجتهد في العشر اجتهاداً لا يجتهد في غيره. [البخاري].

في السحور بركة

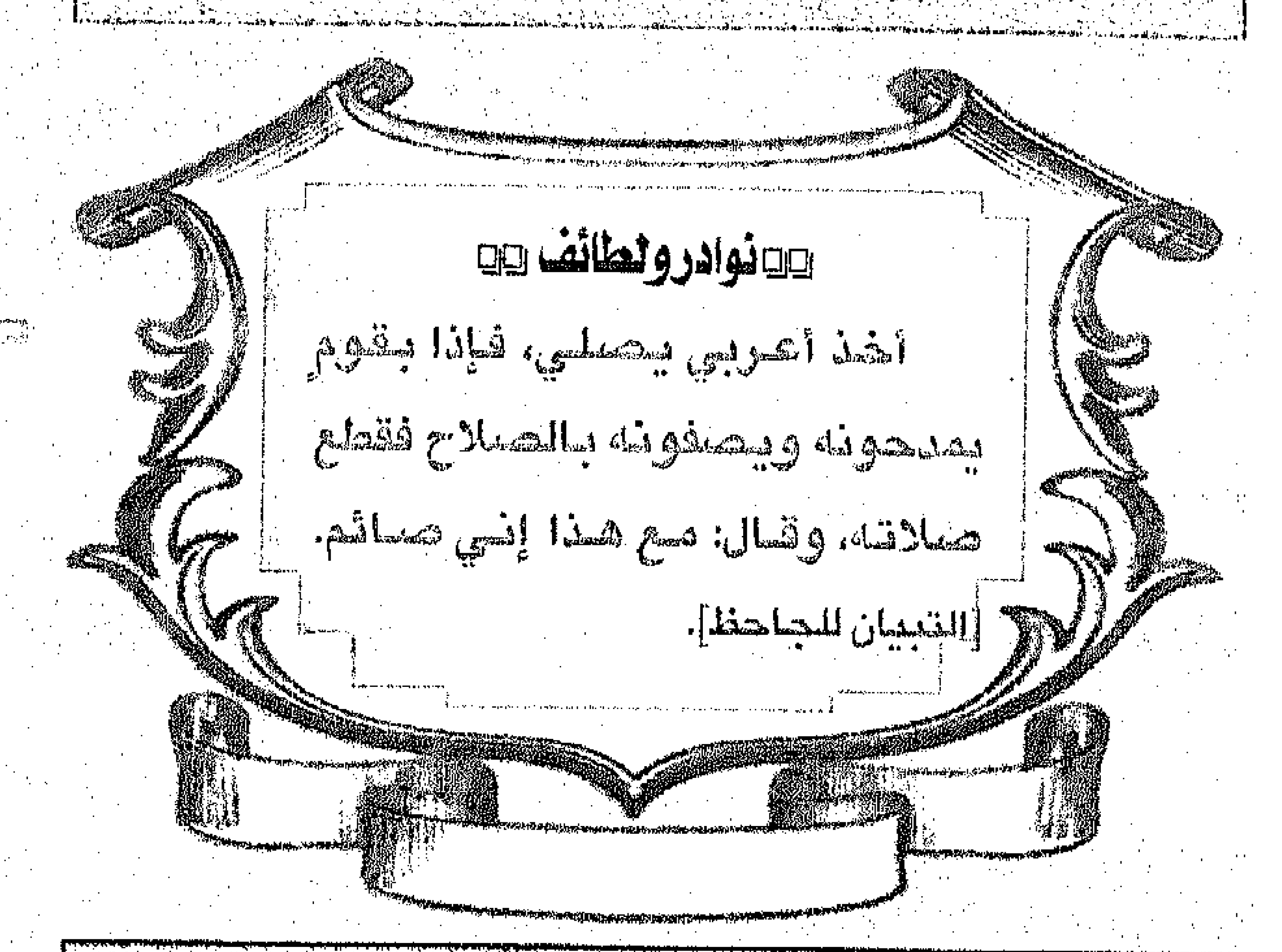
عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «السحور أكله بركة فلا تدعوه، و لو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله و ملائكته يصلون على المتسحرين». [مسند أحمد].

رمضان شهر الجود والكرم

عن زيد بن خالد الجهني قال: قال رسول الله ﷺ من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا. [الترمذي].

حكم من أكل ناسيا

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه ». [متفق عليه].



نوادر ولطائف

أخذ أعربي يصلي، فإذا بقوم يمدحونه ويصفونه بالصلاح فقطع صلاته، وقال: مع هذا إني صائم.

[التبيان للجاحظ].

من نوادر الشعر

قال المعري في من تصرخ، وتضرب الخد، وتشق الجيوب، وتعصي أمر المصطفي مع تحذيره من ذلك:

إذا ماتَ ابنُها صَرَخَتْ بجهلٍ وماذا تستفيدُ من الصراُخ؟

- ستتبعهُ كعطف الفاءِ ليستْ- بمهلٍ أو كثُمَّ على التراخي.

لا تحرم نفسك الخير!

عن أنس بن مالك قال: دخل رمضان فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله ولا يحرم خيرها إلا كل محروم». (يعني ليلة القدر). [ابن ماجه].

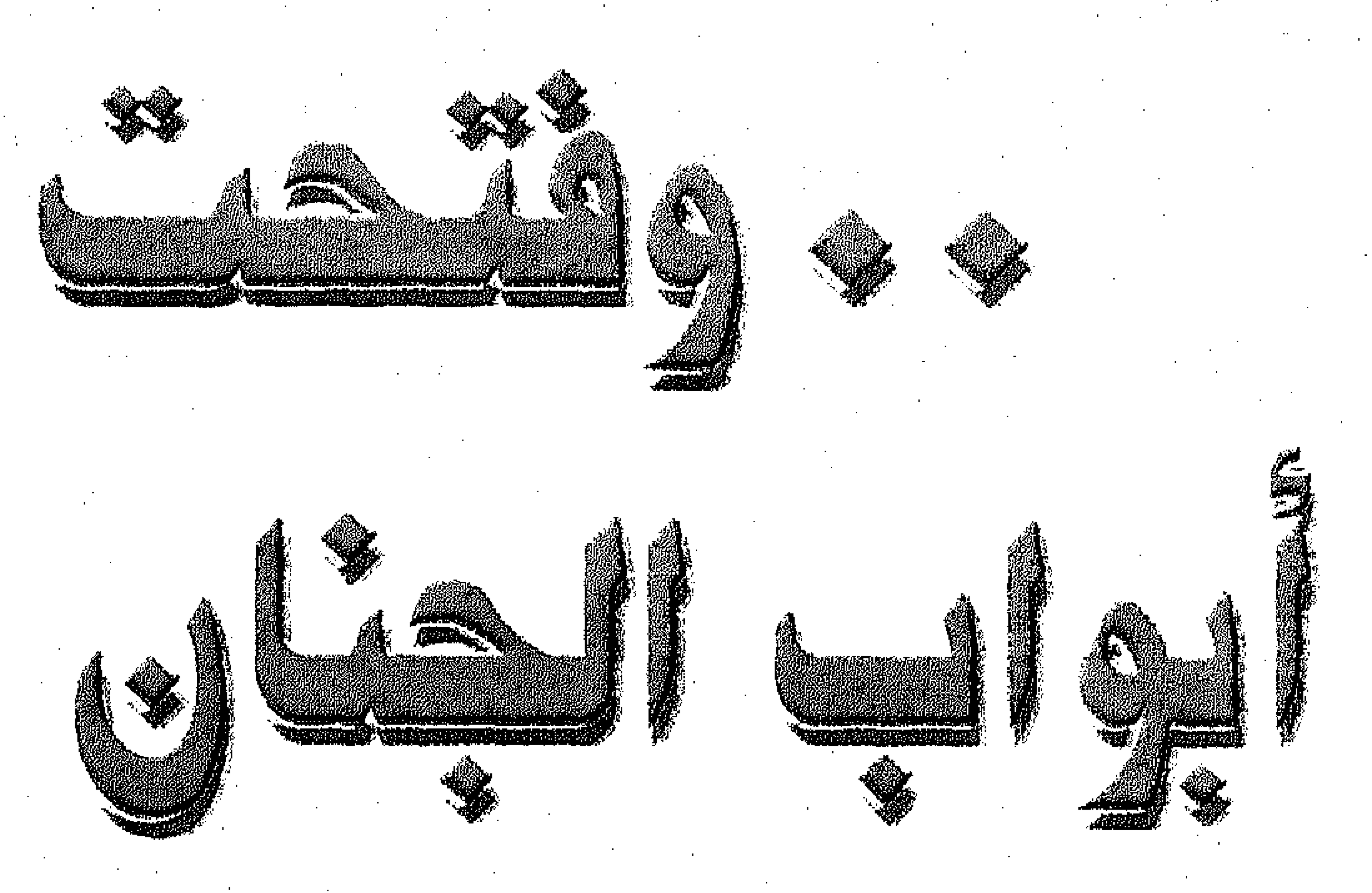
دعاء ليلة القدر

عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله أرأيت، إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال قولي: «اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني». [الترمذي].

صحح لغتك

من الخطأ أن تقول: سُحور- فُطور- قُبول، بضم الأول. والصحيح: سَحور - فَطور - قَبول، بفتح الأول وكما ذكر في مختار الصحاح: السَّحُورُ بالفتح ما يُتَسَحَّرُ به. بخلاف: لَخُلُوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، فإن الصواب فيها ضم الخاء.





الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد أظلنا شهر كريم مبارك، وموسم عظيم من مواسم الخيرات والبركات، يعظم الله عز وجل فيه الأجر، ويجزل المواهب، ويفتح أبواب الرحمة فيه لكل طالب وراغب.

وهو شهر تفتح فيه أبواب الجنان، كما قال النبي ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفدت الشياطين ومردة الجن، وغُلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي منادٍ يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة».

[صحيح رواه الترمذي وابن ماجه وابن خزيمة].

إعداد/ معاوية محمد هيكل

الجنة هي الجزاء العظيم، والثواب الجزيل، الذي أعده الله لأوليائه وأهل طاعته، وهي نعيم كامل لا يشوبه نقص، ولا يعكر صفوه كدر وما حدثنا الله به عنها، وما أخبرنا به الرسول ﷺ يحير العقل ويذهله، لأن تصور عظمة ذلك النعيم يعجز العقل عن إدراكه واستيعابه، استمع إلى قوله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». [رواه البخاري].

ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

أبواب الجنة

أما عن وصف أبوابها فقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، للجنة أبواب يدخل منها المؤمنون، كما يدخل منها الملائكة، قال تعالى: ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]، وقال تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠].

أبواب الجنة تفتح في كل عام في شهر رمضان

قال رسول الله ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة». [البخاري].

عدد أبواب الجنة ثمانية

ومنها الريان، وهو خاص بالصائمين ؛ عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «في الجنة ثمانية أبواب ؛ باب منها يسمى الريان يدخله الصائمون، فإذا دخلوا أغلق فلا يدخل غيرهم».

وهناك باب للمكثرين من الصلاة، وباب للصابرين، وباب للمجاهدين، عن أبي هريرة رضي



الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين في سبيل الله من ماله، دُعي من أبواب الجنة، وللجنة ثمانية أبواب، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام». [متفق عليه].

فقال أبو بكر: والله ما على أحدٍ من ضرورة دعي من أيهما دعي فهل يدعي منها كلها أحد يا رسول الله ؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم.

فقد روى مسلم في صحيحه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ- أو يسبغ- الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء».

عن حكيم بن معاوية عن أبيه معاوية أن رسول الله ﷺ قال: «إن ما بين المصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليه يوم، وإنه لكظيظ». [إسناده صحيح].

قال ابن القيم- رحمه الله-: تأمل قوله تعالى: ﴿مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾: تجد معنى بديعًا: وذلك أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هي وفيها إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوئهم الجنة حيث شاء، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت.

وأيضًا فيه إشارة إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا.

درجات الجنة

الجنة درجات متفاضلة تفاضلاً عظيمًا، وأولياء الله المؤمنون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة». أراه قال: «وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة». [رواه البخاري ٦١١].

وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن أم حارثة أتت رسول الله ﷺ وقد هلك حارثة يوم بدر، أصابه سهم غرب، فقالت: يا رسول الله، قد علمت موقع حارثة من قبل، فإن كان في الجنة لم أبْكِ عليه، وإلا سوف ترى ما أصنع، فقال لها: «أجنة واحدة هي؟ إنها جنات كثيرة، وإنه في الفردوس الأعلى». [رواه البخاري].

وأهل الجنة متفاضلون في الجنة بحسب منازلهم، ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء، لا يبلغها غيرهم ؟ قال: بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين». [رواه البخاري].

أدنى أهل الجنة منزلة

روى مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ قال: «سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: أدخل الجنة. فيقول: أي رب وكيف ؟ وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا ؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله، ومثله، ومثله، فقال في الخامسة: رضيت، رب، فيقول: لك هذا وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك، فيقول: رضيت رب. قال: رب، فأعلاهم منزلة ؟ قال: أولئك الذين أردتَ، غرست



كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر». قال: ومصداقهُ في كتاب الله عز وجل: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]. رواه مسلم.

أنهار الجنة

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [الرعد: ٣٥].

وأنهار من عسلٍ مصفى، في غاية الصفاء وحسن اللون والطعم والريح.

عن حكيم بن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «في الجنة بحر اللبن، وبحر الماء، وبحر العسل، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار منها بعد». [صحيح الترغيب والترهيب].

وقال رسول الله ﷺ: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن». [البخاري].

وجاء في وصف الماء أنه مسكوب، قال تعالى: ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ [الواقعة: ٣١].

قال الثوري: يعني يجري في غير أخدود، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لعلكم تظنون أن أنهار الجنة تجري في أخدود في الأرض، والله إنها لتجري سائحة على وجه الأرض حافتاها قباب اللؤلؤ وطينها المسك الأزفر». [السلسلة الصحيحة].

أشجار الجنة وظلالها

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾ [النساء: ٥٧].

- ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة]، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلاَلٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات]، ورد في وصف هذا الظل قول النبي ﷺ: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عامٍ لا يقطعها». [البخاري ومسلم].

أما الذين يظلهم الله في هذا الظل منهم ما ورد ذكرهم في قول النبي ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجلٌ دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجلٌ تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه». [رواه البخاري ومسلم].

والذي ذكره النبي ﷺ في حديثه إذ قال: «من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله». [رواه مسلم].

وعموم المؤمنين الذين يعملون الصالحات ؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾ [النساء: ٥٧].

وصف الجنة إجمالاً

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في «حادي الأرواح»:

«فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران.

وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن.

وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر.

وإن سألت عن لبناتها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب.

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب.

وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل.

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل.

وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى.

وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون.

وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في

صفاء القوارير.

وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلاً من تلك الخيام.

وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا يكاد تناله الأبصار.

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب.

وإن سألت عن فرشها فبطائنها من إستبرق مفروشة في أعلى الرتب.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر.

وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر.

وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع صوت الملائكة والنبيين، وأعلى منها خطاب رب العالمين.

وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور من الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان.

وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون.

تمام المنة رؤية الله في الجنة

قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

و«الحسنى»: هي الجنة، والزيادة: هي التمتع بالنظر إلى وجه الله عز وجل فيها، قال رسول الله ﷺ: «إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر». [رواه البخاري ٧٤٣٤].

وفي رواية لمسلم: «لا تضامون في رؤيته».

وأخرج البخاري هذا الحديث بلفظ آخر وهو: «إنكم سترون ربكم عياناً».

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم ؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً».

عن صهيب عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم ؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل». [رواه مسلم ١٨١].

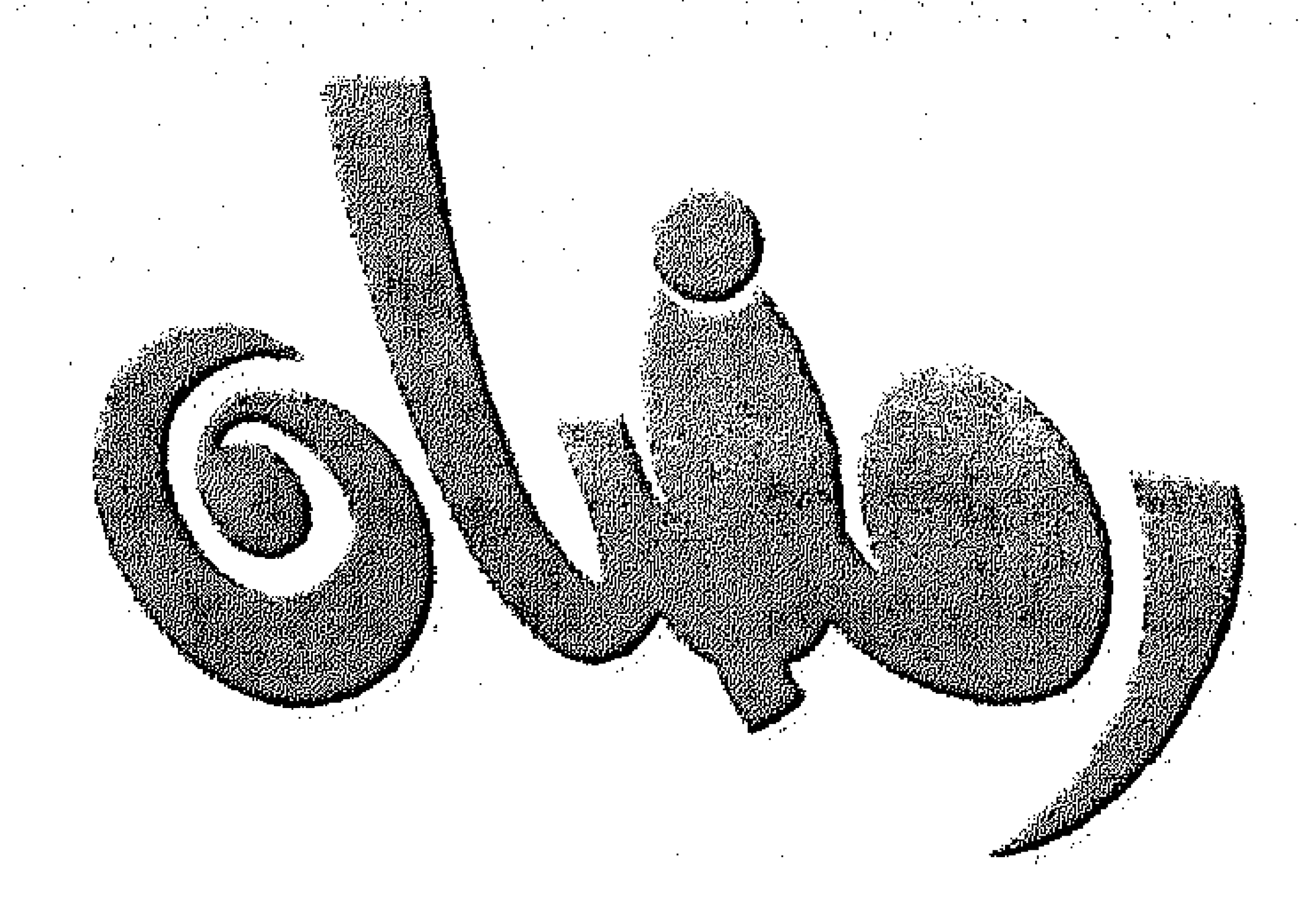
قال ابن القيم رحمه الله: «وإن سألت عن يوم المزيد وزيادة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر، فذلك موجود في الصحاح والمسانيد من رواية جرير وصهيب وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد، فيا لذة الأسماع بأطيب محاضرة، ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٤].

فحي على جنات عدن فإنها
منازلنا الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى
نعود إلى أوطاننا ونسلم
فلله أبصار ترى الله جهرة
فلا الحزن يغشاها ولا هي تسأم
فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة
أمن بعدها يسلو المحب المتيم
أحبتنا عطفًا علينا فإننا
بنا ظمأ والمورد العذب أنتم

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وافتح اللهم لنا أبواب رحمتك، واجعلنا من عبادك الصالحين.

والحمد لله رب العالمين.





وبعث الأخلاق في الأمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

مع قدوم رمضان تهيج في القلب ذكريات البدايات، نزول القرآن: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾، بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين، تغيُّر وجه الحياة على الأرض، بعد أن ضاقت من كثرة العصاة عليها، حتى مقتهم الله جميعًا إلا بقايا من أهل الكتاب.

إن بعثة النبي ﷺ كانت إيذانًا برفع المقت عن أهل الأرض، وأُمر النبي ﷺ بالبلاغ، فانقسم الناس إلى فريقين؛ فريق مؤمن مصدق، وفريق كافر مكذب، وكان الفريق الكافر المكذب هم أكثر الناس حينئذ، لكن الجميع مؤمنهم وكافرهم شهد أن النبي ﷺ جاء بالدعوة إلى توحيد الله تعالى وبمحاسن الأخلاق، وشهد القاصي والداني بذلك، إذ كانت الدعوة إلى صالح الأخلاق والنهي عن سيئها سمة بارزة في قول النبي ﷺ وفعله، فمن أمثلة ذلك:

إعداد/ متولي البراجيلي

كما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي، فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله، ثم ائتني، فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق... الحديث. (البخاري: ٣٨٦١، ومسلم ٢٤٧٤).

وكذلك لما سأل النجاشي جعفر بن أبي طالب ومهاجري الحبشة: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من الملل؟ قال جعفر: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات... الحديث. [حديث حسن، أورده ابن هشام في السيرة، وابن كثير في البداية والنهاية، والبيهقي في الدلائل].

ولما سأل هرقل، أبا سفيان بن حرب (قبل إسلامه) عن النبي ﷺ ودعوته (والحديث في البخاري)، كان من أسئلة هرقل: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت (القائل أبو سفيان): لا. قال: فهل يغدر؟ قال: لا.

ثم سأله: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

وكانت أخلاق النبي ﷺ معتمده في دعوته



الناس، وخاصة قريش الذين عايشوه صبيًا وشابًا حتى اشتهر بينهم بـ «محمد الأمين».

فلما أُمر أن يبلِّغ، كان ﷺ يستهل دعوته بقوله: هل جربتم عليَّ كذبًا ؟ فيقولون: لا.

- ويعلنها رسول الله ﷺ كما بحديث أبي هريرة رضي الله عنه: إنما بعثت لأتمم صالح (مكارم) الأخلاق. (رواه أحمد في المسند، والحاكم، وقال: هذا حديث صحيح، ووافقه الذهبي، وهو في السلسلة الصحيحة للألباني).

وشهد الله تعالى لنبيه ﷺ بالخلق العظيم، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ويالها من شهادة ممن يعلم السر وأخفى، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويالها من شهادة كبرى وتكريم عظيم، مما لا يبلغ إدراك مداه أحدٌ من العالمين.

فمن الممكن أن يشهد بعضنا لبعض بالخُلق الحسن، ولكن شتان بين شهادة وشهادة، فشهادتنا شهادة قاصرة، مقوماتها ما نرى وما نسمع فقط.

وقال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وكيف لا يكون كذلك ﷺ، والقرآن- كلام الله- كان خُلقه، كما بالحديث الطويل في «صحيح مسلم» عن سعد بن هشام، لمَّا جاء المدينة واستأذن على عائشة رضي الله عنها يسألها... فقلت: يا أم المؤمنين، انبئيني عن خُلق رسول الله ﷺ. قالت: ألست تقرأ القرآن ؟ قلت: بلى. قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن. قال: فهممت أن أقوم، ولا أسأل أحدًا عن شيء حتى أموت.

- ويقول أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا. (متفق عليه).

- ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا». [متفق عليه].

(والفاحش: هو من زاد على الحد في الكلام السيئ، والمتفحش: المتكلف والمبالغ في الفحش).

فما من مقام من مقامات الدين إلا وكان الرسول ﷺ على قمته، كان عطوفًا على من حوله ويودهم ويدوم لهم على المودة طوال حياته، فانظر إلى محبته إلى مرضعته حليمة، رضي الله عنها، فكلما رآها يهتف بها: أمي أمي، ويفرش لها رداءه، ويعطيها من الإبل والشاء ما يغنيها في السنة الجدباء.

ولم ينس حضانة أم أيمن، رضي الله عنها، له، ومازال يناديها: يا أُمَّهْ، يا أُمَّهْ.

وقد اتسع عطفه حتى بسطه للأحياء كافة، فكان يصغي للهرة الإناء فتشرب، ثم يتوضأ بفضلها. (صحيح الجامع).

وكان يواسي ﷺ في موت عصفور صغير يلهو به أخو أنس: «يا أبا عمير، ما فعل النغير».

بل شمل عطفه الجماد كأنه من الأحياء، فكانت له قصعة يُقال لها: الغرَّاء، وسيف يُسمَّى: ذو الفقار، ودرع تسمى ذات الفضول، وسرج يسمى الداج، ومقراض يسمى الجامع، وقضيب يسمى الممشوق.

ففي تسميته تلك الأشياء بالأسماء معنى الألفة، التي تجعلها أشبه بالأحياء المعروفين.

وكان ﷺ إذا غضب على أحد أصحابه، فلا يزيد في المعاتبة عن قوله: ما له؟ ترب جبينه. (والحديث بتمامه في البخاري).

فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ
وأنه خير خلق الله كلِّهمُ

بل كان نبل أخلاقه ﷺ حتى مع أعدائه، فعن عائشة رضي الله عنها: أن يهود أتوا النبي ﷺ، فقالوا: السام عليكم (السام: يعني الموت والهلاك). فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم. قال: «مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش». قالت: أو لم تسمع ما قالوا: قال: أوَ لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيَّ. (متفق عليه).

- ويأمر أصحابه بجميل الأخلاق وينهاهم عن قبيحها، فيقول ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر». (البخاري).

وقال ﷺ: «لا يرمي رجلٌ رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك». (البخاري).

وقال ﷺ: «تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله: ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء



بوجه». (البخاري).

وقال ﷺ : «ومن لعن مؤمنًا فهو كقتله، ومن قذف مؤمنًا بكفر فهو كقتله». (البخاري).

وقال ﷺ : «... إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسّسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانًا». (البخاري).

وقال ﷺ : «... لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام». (البخاري).

وقال ﷺ : «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذّابًا». (البخاري).

وقال ﷺ : «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان». (البخاري).

وقال ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت». (البخاري).

وقال ﷺ : «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن يحزنه». (البخاري ومسلم، واللفظ له).

وقال ﷺ : «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق». (مسلم).

وهذه الأحاديث غيض من فيض ؛ لأن النبي ﷺ ما ترك شيئًا من محاسن الأخلاق إلاّ أمر به، ولا شيئًا من قبيحها إلا نهى عنه.

حتى في معاملة الحيوانات والطيور والأشجار والأحجار، أمر بالإحسان إليها.

فلو جاز لنا أن نضع اسمًا مرادفًا لدين الإسلام، لسميناه دين الأخلاق، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال: أي على دين عظيم.

ويبين ﷺ علو مكانة الأخلاق الحسنة، وكيف يرقى المتخلق بها إلى أعلى الدرجات، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قال: ما شيءٌ أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء. (صحيح الترمذي، وأبي داود).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ قال: تقوى الله، وحُسن الخلق. وسُئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ؟ فقال: الفم والفرج. (صحيح الترمذي، وغيره).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم». (صحيح الترمذي).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحُسن خُلقه درجة الصائم القائم». (صحيح أبي داود وغيره).

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أنا زعيم (أي ضامن) ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خُلقه». (صحيح أبي داود وغيره).

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة: الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون». قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون». (صحيح الترمذي وغيره).

(الثرثار: هو كثير الكلام، والمتشدق: هو المتطاول على الناس بكلامه ويتكلم بملء فيه، والمتفيهق: يملأ فمه بالكلام تكبرًا على الناس).

- ويمتثل أصحاب النبي ﷺ وحواريوه بما أمر به من محاسن الأخلاق، حتى تسنموا ذرى لم يصل إليها بشرٌ قط على مدى التاريخ، لا من قبلهم ولا من بعدهم.

وعنهم أخذ التابعون، وهكذا انتقل هذا العبق الجميل من قرن إلى قرن، حتى كان من أهم أسباب انتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، فقد أعجب الناس بأخلاق المسلمين عند التعامل معهم، فكم من بلدان دخلها الإسلام عن طريق التجار الذين فتحوا قلوب الناس عن طريق أخلاقهم الفاضلة، فكان الناس يرون فيهم الأسوة الحسنة، والمثل العليا، فكانوا دعاة قبل أنّ يكونوا تجارًا.



- فمن رمضان إذن ؛ بدأ النور يملأ جنبات الأرض توحيدًا وأخلاقًا، خاصة إذا علمنا بنظرة أوسع أن الأخلاق لا تقتصر على التعامل مع الناس فقط، بل هي مع الله أولاً قبل أن تكون مع الناس.

فحُسن الخلق على قسمين:

القسم الأول: بين العبد وربه سبحانه وتعالى: بأن يكون حيث أمره الله أن يكون، منشرح الصدر بأوامر الله ونواهيه، يفعل ما أُمر به طيبة نفسه به، وينتهي عما حُرم عليه راضيًا به غير متضجر، يرغب في نوافل الخير، ويترك الكثير من المباح لوجهه سبحانه وتعالى، إذا رأى أن ذلك أقرب إلى العبودية.

وأن يسير في طريقه إلى ربه على جناحي الشكر والاعتذار، وأن يعلم أن كل ما يأتي منه تعالى يوجب شكرًا، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وأن كل ما يكون من العبد يوجب اعتذارًا، فلا تزال شاكرًا له معتذرًا إليه سائرًا إليه بين مطالعة منته وشهود عيب نفسك وأعمالك.

القسم الثاني: وهو فيما بين الناس، بأن يبذل المعروف قولاً وفعلاً، وأن يكف الأذى قولاً وفعلاً، أن يكون سَمحًا لحقوقه، لا يطالب غيره بها، ويوفي ما يجب لغيره عليه منها، فإن أحسن ولم يُقَابَلْ إحسانُه بإحسان لم يغضب، ولم يحزن، لأنه ينتظر الجزاء من رب الجزاء.

يقول الماوردي: حُسن الخلق: أن يكون سهل العريكة، لين الجانب، طلق الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة.

وروى الترمذي عن عبد الله بن المبارك في تفسير حُسن الخلق، قال: هو طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى.

كيف تبدل الحال؟

ومع هذه النصوص والتزام السلف بها إلا أنه قد جاء خلفٌ أضاعوا فيما أضاعوا هذا الميراث الذكي، وصدق الرسول ﷺ عندما قال: «ما من عام إلا والذي بعده شرٌ منه، حتى تلقوا ربكم». (سنن الترمذي، والسلسلة الصحيحة).

فنزلنا من قمة وارفة ظليلة إلى وهدة صفراء جديبة، فغاب عنا- إلا من رحم الله- جميل الأخلاق التي أمرنا الله بها، وأمرنا بها رسوله ﷺ وعاشها واقعًا حياتيًا، وتحملها من كل قرن عدوله، وبها فُتحت مغاليق القلوب الموصدة، وأبواب القلاع المشيدة.

داء الأمة العضال

أحسب- من وجهة نظري- والله أعلم أن الداء العضال للأمة الآن هو في فساد الأخلاق، وأتساءل متحيرًا: ومن أين جاءنا هذا الداء اللعين؟ فالقرآن والسنة حصنان تركهما النبي ﷺ كالمحجة البيضاء الواضحة، وأرى أن لذلك أسبابًا منها:

١- تفلت الناس من الدين وعدم التزامهم بأوامره ونواهيه.

٢- الجهل الذي تفشى وعدم طلب العلم الشرعي، فلم يعرفوا لله قدره، ولم يتخذوا الرسول ﷺ أسوة، ولم يفرقوا بين معالي الأمور وسفاسفها، ورأوا الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، والكمال نقصًا والنقص كمالاً.

٣- ضعف الإيمان باليوم الآخر، الذي هو محرك القلوب نحو مرضاة ربها، والاستغراق في اللحظة الآنية (الدنيا) التي نحياها، وعدم التأمل في أن الدنيا وإن طال أمدها فهي إلى انتهاء وزوال. قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

٤- الشهوة: التي تحمله على الحرص والبخل والشح وعدم العفة والجشع والدناءات كلها.

٥- الغضب: الذي يحمله على الكبر والحسد والعدوان، والسَّفه.

٦- ضعف القائمين على التربية، سواءً في البيوت أو المعاهد أو المدارس، والله تعالى سائلٌ كل راعٍ عما استرعاه.

٧- غلبة النظرة المادية بين الناس، وسطوة المال والجاه والنفوذ، حتى صار هذا هو الفكر المسيطر على غالب الناس.

٨- انحراف أغلب وسائل الإعلام عن تعليم الناس مكارم الأخلاق، وبث العري والتفسخ وإبراز



النماذج السيئة حتى صاروا هم قدوة الفتيان والفتيات.

٩- السطحية والتفاهة التي صارت هي السمة الغالبة للشباب ذكورًا وإناثًا- إلا من رحم ربي-.

هيا نزكي نفوسنا

لقد أقسم الله عز وجل أحد عشر قسمًا متتاليًا، لم تأت إلا في موضع واحد من القرآن، على أن الفلاح منوط بتزكية النفوس، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١-١٠]، وتزكية النفوس ملاك دعوة الرسل بعد التوحيد، فهذا موسى عليه السلام يقول لفرعون: ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النازعات: ١٨-١٩].

وكان من دعائه ﷺ: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها». (مسلم).

والله تعالى قدم التزكية على تعليم الكتاب والحكمة: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

فتزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشد. (مدارج السالكين. بتصرف).

سوء الأخلاق يحبط العمل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله، إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار، وتفعل وتصدّق، وتؤذي جيرانها بلسانها، فقال رسول الله ﷺ: «لا خير فيها، هي من أهل النار». قيل: وفلانة تصلي المكتوبة وتصدّق بأتوار (من الأقط)، ولا تؤذي أحدًا، فقال رسول الله ﷺ: «هي من أهل الجنة». (أتوار: جمع تور، وهو إناء من صفر). (رواه أحمد وابن حبان والحاكم وغيرهم، وهو في السلسلة الصحيحة).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته، قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار». (مسلم: ٢٥٨).

هل يمكن اكتساب حسن الخلق؟

يقول ابن القيم: يمكن أن يقع كسبيًا، وقد قال النبي ﷺ لأشج عبد القيس رضي الله عنه: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة». فقال: أخلقين تخلقت بهما، أم جبلني الله عليهما ؟ فقال: «بل جبلك الله عليهما». فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله. (متفق عليه).

- فدل الحديث على أن من الخُلق ما هو طبيعة وجبلة، وما هو مكتسب.

قال أهل العلم في بيان الأسباب التي ينال بها حُسن الخلق:

أحدها: جود إلهي وكمال فطري، بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق، قد كفي سلطان الشهوة والغضب، فيصير مؤدبًا بغير تأديب.

والثاني: اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة وحمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب.

فالأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة (مجاهدة النفس): وهي تكلف الأفعال الصادرة ابتداءً لتصير طبعًا انتهاءً.

قال رسول الله ﷺ: «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يُعطه، ومن يتق الشر يُوقّه». [صحيح الجامع].

والثالث: بمشاهدة أرباب الأفعال الجميلة ومصاحبتهم، وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح، إذ الطبع يسرق من الطبع، الشر والخير جميعًا.

فإذا كان كما رأيت يمكن اكتساب جميل الأخلاق بالمجاهدة والصبر، فليس هناك وقت أفضل من شهر رمضان لنبدأ في هذا جاهدين وآملين أن نجعل من شهر رمضان انطلاقة لبعث أخلاق الأمة من رقدتها.

والله المستعان.



رمضان وأبواب الخيرات

إعداد/ أحمد صلاح رضوان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اطلبوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده». [رواه أبو يعلى والبيهقي، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة: ١٨٩٠].

فلربنا سبحانه في أيام دهرنا نفحات وبركات لتذكير الغافل والوسنان، تذكرنا إذا نسينا وتوقظنا إذا غفلنا.

ولقد خص الله شهر رمضان بالفضل على سائر الشهور، وجعل صيامه أحد أركان الإسلام، وأنزل فيه كلامه خير الكلام، ولشهر رمضان حلاوة وطلاوة في القلوب ؛ لما حوى من الفضائل وكريم الخصال والأعمال، فهو شهر لا تحصى فضائله، ولا تستقصى شمائله، إنه شهر الرحمة والغفران ونزول القرآن منة من الله ورحمة على أمة سيد الأنام، أمة هي خير الأمم ورسولها خير الرسل وكتابها خير الكتب.

فهنيئًا لك أمة الإسلام بشهر رمضان، فها هو شهر الخيرات قد أتى للراغبين في الخير والساعين لرضوان الله والجنة، أتى ضيفًا كريمًا بعد طول غياب، فطوبى لمن أقرى الضيف وأكرم نزله، ويا خيبة من أدركه فلم يُغفر له، ما أتعسه إذا فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ومردة الجن وهو مصر على ذنبه معرض عن ربه حائرٌ في دعائه وطلبه ما أتعسه، فرمضان فرصة لا تعوض، وسوق قام وانفض ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر، دعاء الملائكة فيه: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، وذلك كل ليلة من رمضان، فاللهم اجعلنا من الرابحين الفائزين.

أيها المسلمون الكرام، الأيام تمر سراعًا وكثيرٌ من الناس في غمرة ساهون وعن ذكر ربهم معرضون، والسعيد من وفقه الله تعالى لاغتنام أيام عمره ولحظات دهره.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين ومردة الجن..». [رواه البخاري].

وعن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة». [رواه البخاري].

فهل من مشمر إلى الجنة، أبواب إلى الخير تُفتح، وأبوابٌ من الشر تُغلق، والسعيد من كان حاله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.

إن شهر رمضان ميدان التفاوت بين الهمم والعزائم، فثم فرق بين مسرعٍ في مرضات ربه وبين متأخرٍ عن ركب الطائعين، فعبير البركات والنفحات لا يستنشقه مزكوم غفلة.

أسأل الله تعالى أن ينبهنا من غفلتنا.

رمضان وأصحاب الهمم العالية

أبواب الخير في رمضان على مصراعيها لذوي الهمم العالية وطلاب الكمالات، لذلك يقول ابن القيم رحمه الله في «الفوائد»: إذا طلع غيم الهمة في ليل البطالة وأردفه نور العزيمة أشرقت أرض القلب بنور ربها.

إن إدراك هذا الشهر العظيم والتماس الخير فيه لنعمة عظيمة يهبها الله لمن اختصهم وأحبهم وعلم الخير من قلوبهم: ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾. ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾.

لعلكم تتقون

الصيام تهذيب وليس تعذيبًا، تحلية وتربية، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

شرع الله الصيام لتهذيب الجوارح وصيانتها عن الآثام والذنوب وليس الغاية منه الجوع والعطش ؛ لذلك يقول النبي ﷺ: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث». [متفق عليه].



وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». [متفق عليه].

قال البيضاوي: وليس المقصود من شرعية الصيام نفس الجوع والعطش، بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس الأمارة بالسوء للنفس المطمئنة، فإذا لم يحصل ذلك لا ينظر الله إليه.

رمضان والقرآن

رمضان شهر القرآن، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فلقد ارتبط رمضان في حياة المسلمين بالقرآن، وهو سمة من سماته المباركة، وكان نبينا ﷺ يعرض القرآن على جبريل مرة في كل عام في رمضان، فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان النبي أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن.

وجعل الله الخيرية للأمة في تعلمه وتعليمه، فقال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». [رواه البخاري].

فكيف الحال إذا جمع بين شرف الذكر وشرف الزمان، بين الصيام والقرآن تلازم وترابط، ففي الحديث الذي رواه أحمد والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة».

والناس في رمضان يعقدون الدورات والمنافسات في الملاعب والملاهي، فلماذا لا تُعقد منافسات حول كتاب الله عز وجل تلاوة وتفسيرًا وتعلمًا، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

فقد كان من السلف من يختم في رمضان في كل ليلة ختمة، وفي كل يومين ختمة، وكان عثمان رضي الله عنه يختم القرآن في ركعة الوتر في جوف الكعبة، وكان للشافعي ستون ختمة في رمضان، ومنهم من كان يحمل بين رجلين لكبر سنه، فإذا وقف في الصف افتتح بالبقرة فلا يركع حتى يبلغ سورة العنكبوت وهو ما يقرب من واحد وعشرين جزءًا.

ولكن البكاء على قصور الهمم، فما وهن العظم، وضعف الجسم إلا بذنوبنا، والله المستعان.

فما أعظم أن نتعبد لله في شهر رمضان بكلامه وذكره، فالحسنة فيه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ؛ قال ﷺ : «لا أقول «الم» حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف». [رواه الترمذي].

فروض نفسك ولسانك على تلاوة كتابه والإكثار من ذكره، بدلاً من أن تنشغل بالكلام الذي لا يفيد، فقد كان الربيع بن خثيم يقول: لا خير في كلام الناس إلا قراءة القرآن والذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأن الله يقول: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء]. فإن النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

رمضان والدعاء

إن الله تعالى فضل أمكنة وأزمنة وحالات على غيرها، وإن من فقه العبد أن يأتي بما فضل الله فيما فضل الله، أي الإكثار من الدعاء في رمضان، فمن أفضل الدعاء وأشرفه أن يكون في رمضان، لا سيما إذا كان في ليلة القدر، ففي البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني».

وذكر ابن رجب الحنبلي في اللطائف: «وقد كان النبي ﷺ يتهجد في ليالي رمضان ويقرأ قراءة مرتلة لا يمر بآية فيها رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوذ، فيجمع بين الصلاة والقرآن والدعاء والتفكر، وهذا أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها».

وهناك علاقة وثيقة بين الصيام والدعاء، فالله جعل آية الدعاء: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ بين آيات الصيام، وجعل دعوة الصائم لا ترد، كما جاء في الحديث، وللدعاء منزلة عظيمة في الشرع، فهو العبادة كلها ؛ لقوله ﷺ : «الدعاء هو العبادة». رواه أحمد وأصحاب السنن عن النعمان بن بشير، فهو العبادة كلها لما جمع العبد حال دعائه أنواعًا من العبادات من حضور القلب والتوجه إلى الله والقصد والرغبة والرهبة وعبادة البدن.

فبالدعاء كم كشف الله من الغم وأزاح من الهم، وأعز من بعد ذل، وأغنى من بعد فقر، والنبي ﷺ يقول: «من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء». [صحيح الجامع].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رمضان ١٤٢٩

الأسرة المسلمة في رمضان



الحمد لله الذي بيده الأمر، يقلب الليل والنهار، وجعل في تعاقبهما آية للذكرى والاعتبار، والصلاة والسلام على خير من صلى وصام لله الواحد القهار، نبينا محمد القدوة الحسنة لأولي الأبصار، وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم العرض على العزيز الغفار. وبعد:

فبدخول شهر رمضان، وإدراكنا هذا الشهر، يكون الفضل أولاً وآخرًا لله الكريم الذي بلغنا هذا الشهر، وَغَمَرَتْنَا فيه نعماؤه، ووسع البرية جوده وعطاؤه. في هذا الشهر العظيم يتقرب المسلمون إلى ربهم جل وعلا بترك شهوات البطن والفرج، وقد ذكر الله تعالى ذلك في الحديث القدسي بقوله عز وجل: «يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي».

بل إن البعض ممن لم يتزوج ونوى الزواج يبتعد عن فعل ذلك في رمضان ليسهل عليه التعبد في رمضان، وكذلك لكيلا يقع في محظور مع أهله في وقت الصيام، كما حدث لمن جاء إلى النبي ﷺ يقول له: هلكت. قال: «ما أهلكك؟» قال: وقعت على أهلي وأنا صائم... وعلى هذا فما حكم النكاح في رمضان؟

النكاح في رمضان

النكاح لغة: الضم والتداخل، وسُمي به العقد، وهو أكثر استعماله؛ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩]، كما يستخدم للوطء، والقرائن تحدد، فإذا قيل: نكح فلان فلانة فهو العقد، وإذا قيل: نكح فلان زوجته، فهو الوطء.

ويرد بمعنى بلوغ الحُلُم؛ كقوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾.

ويلاحظ أن معاني الجماع تأتي في القرآن دائمًا بما يدل عليه كناية لاستقباح ذكره، وهذا من الأدب والحياء الذي جاء به ودعا إليه القرآن الكريم، فيا ليت الكثير من أهل الإسلام يعي هذه الحقيقة ويدرك فوائدها، قال تعالى: ﴿وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾، وقال: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾، وقال: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾. وقال أيضًا: ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾. وعلى هذا الطريق سار رسول الله ﷺ، فقال: «لو أن أحدكم إذا أتى أهله...». وقال ﷺ: «حتى يذوق عسيلتها وتذوق عسيلته».

إعداد/ جمال عبدالرحمن

وقد ورد الندب إلى النكاح في قوله تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء]، وذلك في سائر الشهور والأيام بما فيها رمضان، غير أنه من وجد في نفسه ضعفًا في أن يملك إربه في رمضان، وأراد أن ينكح امرأة في شهر رمضان فليؤجل ذلك إلى انتهاء الشهر، ليسلم له صومه وعبادته واعتكافه، وغير ذلك.

الترغيب في النكاح

جاءت الشريعة الغراء لترغِّب في النكاح، كما قال الله سبحانه: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ...﴾. وإن كان القرطبي- رحمه الله تعالى- قال: إن الآية سيقت لبيان عدد ما يجوز الجمع بينهن من النساء.

وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس



مني». (متفق عليه، واللفظ للبخاري).

وأنس راوي الحديث ذكر أن رهطًا (وهم من ثلاثة إلى عشرة)، وأما في رواية مسلم فذكر أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ، ولا تعارض إن شاء الله لأن النفر من ثلاثة إلى تسعة، فالمعنى واحد. وكل من النفر والرهط لا مفرد له من لفظه.

وليس مهمًا معرفة من هم الذين جاءوا إلى النبي ﷺ وقالوا ذلك، وإن كان ورد ذكرهم في روايات على خلاف، أكثرها روايات لا يُقطع بصحتها، وإنما المهم معرفة ما قالوه واعتقدوه، ثم صحح لهم النبي ﷺ ذلك.

ومثل هؤلاء الثلاثة ما ورد في صحيح مسلم رحمه الله من أن سعيد بن هشام رضي الله عنه قدم المدينة، فأراد أن يبيع عقاره فيجعله في سبيل الله، ويجاهد الروم حتى يموت، فلقي ناسًا بالمدينة فنهوه عن ذلك، وأخبروه أن رهطًا ستة أرادوا ذلك في حياة النبي ﷺ فنهاهم، فلما حدثوه- أي سعيد بن هشام- بذلك راجع امرأته وكان طلقها. يعني طلقها ليفعل ما أراد من بيع داره والجهاد حتى يموت.

وهؤلاء الرهط من ذوي الهمم العالية بلا شك، ومن الطامعين بقوة فيما عند الله، الراجين رحمته، والخائفين عذابه، فكان القياس عندهم بالعقل صحيحًا، وبما يسمونه المنطق سائغًا، ولأجل ذلك قالوا ما قالوا. لكن إذا تعارض القياس مع النص الشرعي فلا قياس، ولا عقل، ولا رأي، ولا منطق، وإنما الدليل يشفي الغليل والعليل، ولا اجتهاد مع النص، فكان قياسهم: أن النبي ﷺ مغفور له وهذه عبادته، ونحن لا ندري ما الله فاعل فينا، ولكي ندرك المغفرة ينبغي أن نزيد العبادة ولو كانت في بعض جزئياتها أكثر من مثيلتها في عبادة النبي ﷺ لكن رسول الله ﷺ الذي يُعَلِّم الناسَ الكتاب والحكمة أشار إلى معنى عظيم في فعله ذلك، كما في حديث عائشة والمغيرة رضي الله عنهما عند البخاري رحمه الله كما قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا؟» وقد بين لهم قبل ذلك أنه لا يجوز لأحد أن يزيد في الشرع، أو أن يأتي بعمل لم يعمله رسول الله ﷺ، أو يُعرض عما عمله النبي ﷺ إلى غيره من الأعمال والأقوال، وفاعل ذلك يبرأ منه النبي ﷺ، وليس من النبي في شيء، لأنه راغب ومعرض عن سنة النبي ﷺ.

والذي نوى أن يصلي الليل أبدًا يعني كل ليلة، والذي نوى اعتزال النساء قال: أبدًا أيضًا، لكن الصائم منهم لم يقل: أصوم أبدًا، لأنه قطعًا يعلم أنه سيفطر في الليل وفي أيام الأعياد. وفي رواية مسلم وقع أن بعضهم قال: لا آكل اللحم أبدًا، وآخر قال: لا أنام على الفراش، وكل هذا مخالف لسنة النبي ﷺ، ومن رغب عن سنته فليس منه.

ويزيد النبي ﷺ الأمر بيانًا ووضوحًا لهم ولسائر المسلمين، فصحح مفهومهم الذي فهموه وبنوا عليه أمرهم من أن المغفور له (كالنبي ﷺ) لا يحتاج إلى مزيد في العبادة، بخلاف من لا يُعلم عن المغفرة له شيء، أما هم فيحتاجون إلى المزيد من خشية الله ورجاء المغفرة، فأعلمهم ﷺ أنه مع كثرة عبادته وعلمه بالمغفرة لذنوبه المتقدمة والمتأخرة فهو خائف من الله أكثر منهم، ويتقيه أكثر مهم، فقال: «إني لأخشاكم لله وأتقاكم له».

وزاد الأمر بيانًا فأعلمهم أنه مع شدة خشيته وتقواه لله ومع ذلك، فهو كما قال ﷺ: «أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء». وهذا هو السنة، ولا يجوز لأحد العدول عنها، والسنة هنا هي الطريقة- طريقة النبي ﷺ التي لا يجوز الإعراض عنها إلى طريقة غيرها أو طريق غيره، وطريقة النبي ﷺ هي الحنيفية السمحة، فكان يفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج النساء لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل.

وقوله ﷺ: «فليس مني». يعني: إن كان من فعل ذلك- أي رغب عن السنة تأويلاً يُعذر فيه، كحال الصحابة هؤلاء ؛ فالمعنى: «ليس مني» أي: ليس على طريقتي، وهذا الفعل غلط فيه صاحبه، ولا يلزم فاعل ذلك أن يخرج من الملة، وإن كان المعرض عن سنة النبي ﷺ امتناعًا وإعراضًا وتنطعًا يفضي إلى أرجحية عمله على عمل الرسول ﷺ، فمعنى: «ليس مني» هنا: أي ليس على ملتي لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر.

تحذير إلى الأسرة المسلمة

فليحذر رب الأسرة من التأويلات الفاسدة والفتاوى الكاسدة حينما تطلب منه زوجته أو ابنته أن تختمر أو تنتقب ؛ فيقول لها: خمارك في قلبك، ونقابك في إصلاح داخلك، وهو يقصد بذلك: يكفيك أن يسلم القلب ويصلح ولو لم تلتزم الجوارح وتخضع لأمر الله. وكذا قول الرجل لابنه إذا أعفى لحيته: ليس المهم المظهر، وإنما المهم القلب، أو حينما تكتمل في بقية أمورك فاطلقها، فمن الكامل ؟!!

وربما قال له: كم من ملتحٍ وفيه من الشر ما فيه،

وكم من حليق وبينه وبين ربه عمار!!.

وهذا الكلام إن صح بعضه على بعض الأوجه ؛ لا يصح كله على كل الأوجه، وفيه تلبيس كتلبيس إبليس، وفيه خلط للحق بالباطل وتضييع لمعنى الإسلام والاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، وفيه رغبة عن سنة الحبيب ﷺ وطريقته.

الأسرة المسلمة في رمضان

هل آن لكل أب وكل أم مع دخول هذا الشهر العظيم أن يدركا القيمة العظيمة التي وردت بالحديث السابق- حديث أنس-؟ وأن يتعلموا القصد في الأمور؛ فلا غلو ولا إسراف، ولا إقتار ولا إجحاف، فإن ملازمة استعمال الطيبات تفضي إلى الترف والبطر، ولا يأمن فاعلها من الوقوع في الشبهات والمحرمات بسبب حرصه على تحصيل ذلك، لأن من اعتاد ذلك قد لا يجده أحيانًا فلا يستطيع أن ينتقل عنه فيقع في المحظور، كما أن منع تناول الطيبات والمباحات يفضي إلى التنطع المنهي عنه، ويرد عليه صريح قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف]، كما أن الأخذ بالتشديد في العبادة يفضي إلى الملل القاطع لأصلها، وملازمة الاقتصار على الفرائض مثلاً وترك التنفل يفضي إلى الكسل والعجز وإيثار البطالة، وعدم النشاط في العبادة، بل والملل منها واستثقالها، وخير الأمور الوسط.

وفي قول النبي ﷺ: «إني لأخشاكم لله» مع ما انضم إليه مما بعده إشارة إلى ذلك. وفيه أيضًا إشارة إلى أن العلم بالله تعالى ومعرفة ما يحب من خلقه سبحانه ؛ أعظم قدرًا من مجرد العبادة البدنية.

فعلى الأسرة المسلمة في رمضان أن تعرف ما الذي يريده الله تعالى بالصيام وما حكمته ؟ ولماذا شُرع، وما هي أعمال الصائمين في رمضان، وما الذي ينبغي أن يفعلوه قبله وبعده، وأيضًا لماذا اختص الله جل وعلا الصوم بقوله: «إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به». هذا مع أداء الصوم على السنة النبوية وكذا الإفطار بدون إسراف وإسفاف، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. ذلك خير ممن صام لا يفطر وقام لا يفتر، ورُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش.

الفتاة المسلمة في رمضان

أيتها الفتاة المسلمة؛ كيف سيكون الحال هذه السنة في رمضان ؟ في العبادة ومع القرآن، والصلاة والقيام، والتوبة والإنابة إلى الله عز وجل، ومع الذكر والاستغفار وتعلم العلم الشرعي، وسماع الموعظة والنصيحة، وكيف سيكون الزي والملبس ؟ أشرعي أم بدعي غربي ؟ وكيف ستكون العطور؟ هل هي في البيت فقط، أم خارجه أيضًا لمن يجد ريحها.

إن المرأة المسلمة مرت بثلاث مراحل عبر العصور، في ذكر هذه المراحل اعتبار لمن كانت لها قلب تعقل به وتفقه، أو عين تبصر بها، أو أذن تسمع بها ؛ لأن أناسًا قال الله تعالى عنهم: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف].

المرحلة الأولى: المرأة قبل الإسلام

١- عند الفرس: كانت المرأة عند الفرس مخلوقًا نجسًا، تُبعد عن المنازل إذا حاضت، وتقيم في خيام بعيدًا، وعلى الخدم الذين يقدمون الطعام لها أن يلفوا أنوفهم وأيديهم بالقماش حتى لا يتنجسوا منها ومن خيمتها، والرجل يمتلكها ويحق له أن يحكم عليها بالحياة أو الموت.

٢- وعند اليهود: المرأة ليست طاهرة ولا نقية، وكل من معها في بيتها كذلك، ولا يجوز الدخول عليهم، وعلى تلك المرأة إذا توفي زوجها أن تحرق نفسها بعده، فلا هي سعدت في حياتها معه، ولا بعد فراقه لها.

٣- وعند الصينيين: ولادة المرأة شر، ومقامها مقام الخدم، والبنت تباع وتشترى، والمرأة رقيقة (خادمة) عند أهل زوجها.

٤- في أوربا: يصفون المرأة بأنها نكبة أنحس من الأفعى، وهي منبع الشر، وأصل الخطيئة، وحجر القبر، وباب جهنم، ومآل التعاسة، خُلقت أكره مرارة من الموت، وهي كالشبكة؛ قلبها فخ ويداها قيود.

٥- عند العرب قبل الإسلام: كانت إذا ولدت لرجل بنت ظل وجهه مسودًا وهو كظيم، ويختبئ من الناس من سوء البشرى، فإما أن يربيها بمذلة لها وهوان، وإما أن يقتلها موءودة، وكانت كالمتاع تورث ولا ترث.

المرحلة الثانية (نور الإسلام ورحمته)

كان مع ما رأيناه من سواد الجاهلية وليلها البهيم في معاملة المرأة بزوغ فجر الإسلام، وطلوع شمسه المشرقة لا الحارقة، فيه خرجت المرأة بفضل الله من القهر والاستعباد إلى الحرية ورفع القدر،



وعلو المنزلة، واستردت المرأة كل حقوقها المشروعة، فهي كالرجل؛ الاثنان سواء في مطلق الإنسانية، وكان التفاضل بينها وبين الرجل على التقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

والجميع يتساوى في الجزاء الأخروي: ﴿لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وكفل لها حق الحياة وحرم قتلها بغير حق: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، وضمن لها حق الإرث: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

ومنحها حق التملك وحرية الرأي والتصرف، وتكاثرت النصوص عن النبي ﷺ في العناية بالمرأة والإحسان إليها، قال ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرًا». متفق عليه. وقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي». (رواه ابن ماجه)، وقال ﷺ: «رويدك سوقًا بالقوارير». متفق عليه.

وانطلقت قوافل المؤمنين تنشر هذا الفتح العظيم، وتحرر الناس في كل أقطار الأرض من ذل العبودية والقهر، هذا التحرر الذي كان سببه اللجوء إلى شرع الله الموافق للعقول والفطر السليمة، وعليه دخل الناس في الدين أفواجًا، فعاشوا منعمين بالحقوق الشرعية في كنف هذا الدين الحنيف.

واستمر الإسلام يغذي هذه الحياة قرونًا حتى قالت إحدى القسيسات: «بكل بساطة ووضوح ؛ إن المرأة عند المسلمين منذ ١٤ قرنًا تُعطى ما ترون، حقًا إنه عدل مبكر جدًا».

المرحلة الثالثة (الواقع المعاصر)

مع مرور الزمن وتخلي المسلمين في العموم عن دينهم، وانهماكهم في الدنيا، والمشكلات بشتى أنواعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ضعف النور الذي كان يسطع منهم، لا لضعف المصباح؛ بل لتخلي حملة هذا النور عن حمله، فبدأ الغرب يستيقظ على أنقاض أهل الإسلام، وليتهم أخذوا بمبادئ الإسلام التي نعموا في عدلها قرونًا، لكن الحقد والحسد والكراهية جعلتهم يثورون على المبادئ والقيم، ومنها نظرتهم إلى المرأة، فظهرت حركة تحرير المرأة التي قامت على أساسين؛ الحرية والمساواة، بمعنى التماثلية بينها وبين الرجل في كل شيء، وتشجع على الاختلاط بين الجنسين والمساواة بينهما في الزواج والطلاق، ثم نُشر هذا الفكر عالميًا بالقوة وبغيرها، فلم ينتج عن هذا التحرر إلا انتشار الجريمة كالاغتصاب مثلاً في فرنسا وأمريكا وكندا واستراليا وألمانيا وروسيا وإسرائيل وجنوب إفريقيا، وكثرت نسبة الطلاق وقتل الأزواج والزوجات بسبب الأصدقاء والعشيقات، وخرجت المرأة من حماية زوجها وأبيها بزعم الاستقلال والحرية، فوقعت في شباك العري والعار، وعدم الأمن والاستقرار، وانبهرت المرأة المسلمة بالمرأة الغربية، ولاحقتها في زيها وموضتها، وشكلها ومظهرها، منفذة ما حذر منه النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه». قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن». متفق عليه. أي فمن غيرهم ؟

وتبنَّى هذه الدعوات الغربية نساء ورجال من أمتنا يتكلمون بألسنتنا، ويعيشون بيننا، يسمون بالمفكرين الإسلاميين والدكاترة، فصارت مجتمعات المسلمين بين مطرقة الغرب الخارجي وسندان العلمانيين بالداخل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أخيرًا

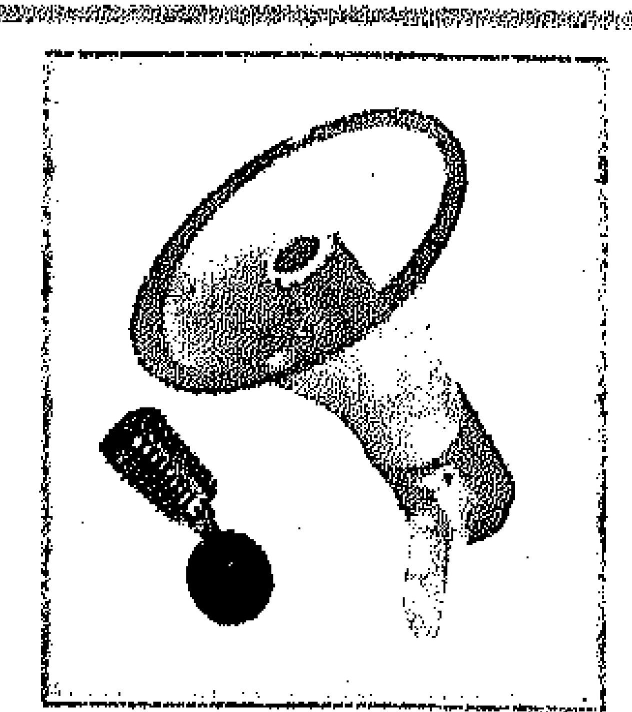
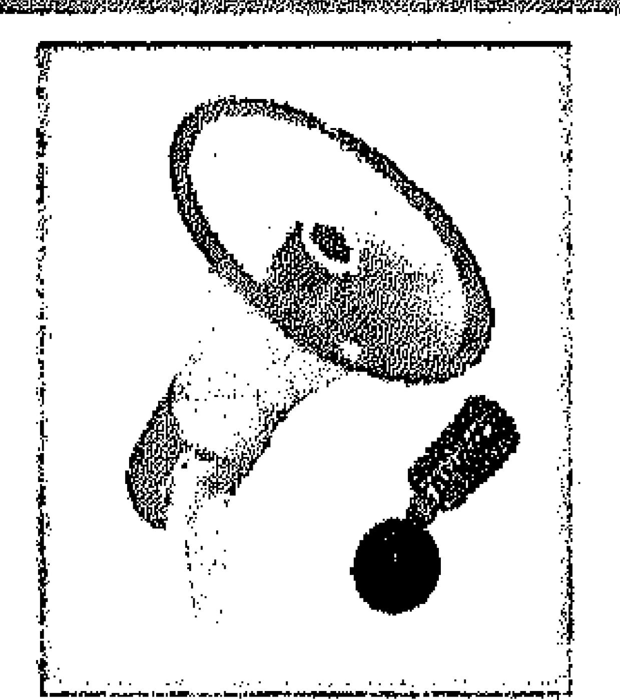
أيتها المسلمة؛ وقد دخل عليك شهر رمضان؛ شهر التوبة والغفران، على أي مرحلة من المراحل السابقة الثلاث سيقع طيرك؟ وهل طيرك غراب لا يقع إلا على الديدان والحشرات والقذر والجيف ؟ أم أن طيرك نحل لا يقع إلا على الأزهار والرياحين، والرحيق والفل والياسمين؟!

هل الذي كرَّمك بالإسلام الله القدوس السلام ؛ لو طلب منك صيانتك بالحجاب، وفصَّل لك الثياب ؛ هل رد الجميل يكون بالتمرد الرذيل، ومخالفة الوحي والتنزيل؟

وهل ستستمر أيها الأب العاق وتقول لابنتك: لو لبست النقاب سأطردك من البيت أو أطلق أمك ؟ إلى أين ستطردها ؟ إلى غريب يتجهمها، أم إلى ذئب ينتهك عرضها؟

وأنت أيتها الأم البائسة المحرومة، هل ستمنعين ابنتك من الذهاب إلى المسجد لصلاة التراويح وحياة القلوب، قال ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله». مَن منكم بذلك أخشى لله وأتقى له؟!

والحمد لله رب العالمين.

قصة الريح المسماة «المثيرة» وقصة الليلة المسماة «ليلة الجائزة»


إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص خاصة في شهر رمضان، ويكثر ذكر هذه القصة الواهية في أول رمضان، وفي ليلة القدر، وفي ليلة الفطر، وخطبة عيد الفطر، وإلى القارئ الكريم بيان حقيقة هذه القصة.

أولاً: المتن

رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن الجنة لَتَبَخَّرُ وتزيَّن من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان، فإذا كانت أول ليلة من شهر رمضان هبَّت ريحٌ من تحت العرش يُقال لها: المُثيرة، فتَصْفِقُ ورق أشجار الجنان، وحَلَقَ المصاريع، فيُسمعُ لذلك طنينٌ لم يسمع السامعون أحسنَ منه، فتبرزُ الحورُ العينُ حتى يَقفن بين شُرف الجنة، فينادين: هل من خاطب إلى الله فيزوجه ؟ ثم يقلن الحورُ العين: يا رضوان الجنة، ما هذه الليلة ؟ فيجبيهن بالتلبية، ثم يقول: هذه أولُ ليلةٍ من شهر رمضان، فُتحت أبواب الجنة للصائمين من أُمة محمد ﷺ، قال: ويقول الله عز وجل: يا رضوانُ، افتح أبواب الجنانِ، ويا مالكُ، أغلق أبواب الجحيم عن الصائمين من أمة أحمد ﷺ، ويا جبرائيل اهبط إلى الأرض، فاصفد مَرَدةَ الشياطين، وغلَّهم بالأغلال، ثم اقذفهم في البحار، حتى لا يفسدوا على أمة محمد حبيبي ﷺ صيامهم.

قال: ويقولُ الله عز وجل في كلِّ ليلةٍ من شهرِ رمضانَ لمنادٍ ينادي ثلاث مرات: هل من سائلٍ فأعطيه سُؤْله؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفرٍ فأغفر له ؟ من يقرض المليَّ غير المعدوم، والوفيَّ غير الظلوم ؟ قال: ولله عز وجل في كل يومٍ من شهر رمضان عند الإفطار ألفُ ألفِ عتيقٍ من النار، كلهم قد استوجبوا النار، فإذا كان آخرُ يوم من شهر رمضان أعتق الله في ذلك اليوم بقدر ما أعتق من أول الشهر إلى آخره، وإذا كانت ليلةُ القدر، يأمر الله عز وجل جبرائيل عليه السلام فيهبط في كَبْكَبةٍ من الملائكةِ، ومعهم لواءٌ أخضرُ، فيركزوا اللواء على ظهر الكعبة، وله مائة جناحٍ، منها جناحان لا ينشرهما إلا في تلك الليلة، فينشرها في تلك الليلة، فيجاوز المشرق إلى المغرب، فيَحُثُّ جبرائيل عليه السلام الملائكة في هذه الليلة، فيسلِّمون على كل قائم، وقاعدٍ، ومصلٍّ، وذاكرٍ، ويصافحونهم، ويُؤَمِّنون على دعائهم حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجرُ ينادي جبرائيل عليه السلام: معاشر الملائكة، الرحيلَ الرحيل، فيقولون: يا جبرائيل، فما صنع الله في حوائج المؤمنين من أمة أحمد ﷺ؟ فيقول: نظرَ

اللهُ إليهم في هذه الليلة، فعفا عنهم إلا أربعة.

فقلنا: يا رسول الله، من هم؟ قال: «رجل مدمنُ خمر، وعاقٌ لوالديه، وقاطعُ رحمٍ، ومُشاحن».

قلنا: يا رسول الله، ما المشاحن؟ قال: «هو المصارم، فإذا كانت ليلة الفطر، سميت تلك الليلة ليلة الجائزة، فإذا كانت غداةُ الفطر، بعث الله عز وجل الملائكة في كل بلدٍ، فيهبطون إلى الأرض، فيقومون على أفواه السِّكَكِ، فينادون بصوت يسمعه من خَلَق الله عز وجل إلا الجن والإنس، فيقولون: يا أمة محمد، اخرجوا إلى رب كريم يعطي الجزيل، ويعفو عن العظيم، فإذا برزوا إلى مُصلاهم يقول الله عز وجل للملائكة: ما جزاء الأجير إذا عمل عمله ؟ قال: فتقول الملائكة: إلهنا وسيِّدنا، جزاؤه أن تُوفِّيه أجره. قال: فيقول: فإني أشهدكم يا ملائكتي أن قد جعلتُ ثوابهم من صيامهم شهر رمضان وقيامهم رضائي ومغفرتي، ويقول: يا عبادي، سلوني فوعزتي وجلالي لا تسألوني اليوم شيئًا في جمعكم لآخرتكم إلا أعطيتكم، ولا لدنياكم إلا نظرت لكم، فوعزتي لأسترن عليكم عثراتكم ما راقبتموني، وعزتي وجلالي لا أخزيكم ولا أفضحكم بين أصحاب الحدود، انصرفوا مغفورًا لكم، قد أرضيتموني، ورضيتُ عنكم، فتفرحُ الملائكةُ، وتستبشرُ بما يعطي الله عز وجل هذه الأمة إذا أفطروا من شهر رمضان».

ثانيًا: التخريج

هذه القصة الواهية أخرج حديثها الإمام البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/٣٣٥) ح(٣٦٩٥) حيث قال: «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو الحسين عبد الصمد بن علي بن مكرم البزار ببغداد، حدثنا يعقوب بن يوسف القزويني، حدثنا القاسم بن الحكم العرني، حدثنا هشام بن الوليد عن حماد بن سليمان الدوسي البصري، شيخ لنا يكنى أبا الحسن عن الضحاك بن مزاحم عن عبد الله بن عباس أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن الجنة لتبخر وتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان، فإذا كانت أول ليلة من شهر رمضان هبت ريح من تحت العرش يُقال لها المثيرة...» القصة.

وأخرج القصة أيضًا الإمام ابن الجوزي في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» (٢/٤٤) ح(٨٨٠) حيث قال: «أخبرنا محمد بن ناصر وسعد الخير بن محمد قالا: حدثنا نصر بن أحمد بن البطر، قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن رزقويه، قال: حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق، قال: أخبرنا أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم بن سنين الختلي، قال: حدثنا العلاء بن عمرو الخراساني أبو عمرو، قال: حدثنا عبد الله بن الحكم البجلي، قال أبو عمرو: فشككت في شيء من هذا الحديث فكتبته من الحسن بن يزيد، وكنت سمعته والحسن عن عبد الله بن الحكم، قال: حدثنا القاسم بن الحكم العرني عن الضحاك عن ابن عباس أنه سمع النبي ﷺ يقول: إن الجنة لتبخر وتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان، فإذا كانت أول ليلة من شهر رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة...» القصة.

ثالثًا: التحقيق

أ- هذه القصة واهية وسندها تالف، بالطعن في الرواة والسقط في الإسناد، وهذه أقوال أئمة الجرح والتعديل في بيان هذا الإسناد الساقط بالسقط، وبيان عدم سماع الضحاك من ابن عباس، بل وعدم رؤيته لابن عباس، بل وعدم لقائه بابن عباس، فهو لم يسمعه ولم يره ولم يلقه، فقد أخرج ابن أبي حاتم في كتابه «المراسيل» ترجمة (١٥٢)، حيث قال:

١- الخبر (٣٣٨) (حدثنا) يونس بن حبيب الأصبهاني حدثنا أبو داود عن شعبة عن مُشاش، قال: قلت للضحاك: سمعت من ابن عباس ؟ قال: لا. قلت: رأيته؟ قال: لا.

٢- الخبر (٣٣٩) حدثنا صالح بن أحمد بن حنبل حدثنا علي بن المديني، قال سمعت سالم بن قتيبة يقول: حدثني شعبة قال: قلت لمشاش: الضحاك سمع من ابن عباس ؟ قال: لا، ولا كلمة.

٣- الخبر (٣٤٠) حدثنا حماد بن الحسن بن عنبسة، ويونس بن حبيب- والسياق ليونس- قالا: حدثنا أبو داود حدثنا شعبة قال: قال لي عبد الملك بن ميسرة: الضحاك لم يسمع من ابن عباس، إنما لقي سعيد بن جبير بالري، فسمع منه «التفسير».

وفي حديث أبي عبيد الله- كنية حماد بن الحسن بن عنبسة- لم يلق ابن عباس، إنما لقي سعيد بن جبير بالري فأخذ عنه التفسير.

٤- الخبر (٣٤١) حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن يعلى- يعني: ابن خالد الرازي- عن شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال: قلت للضحاك:

أسمعت من ابن عباس؟

قال: لا.

قلت: فهذا الذي ترويه عن من أخذته؟

قال: عنك وعن ذا وعن ذا.

٥- الخبر (٣٤٢) حدثنا صالح بن أحمد بن حنبل حدثنا علي بن المديني قال: سمعت يحيى بن سعيد يقول: كان شعبة ينكر أن يكون الضحاك بن مزاحم لقي ابن عباس قط.

ب- قلت: ولقد أورد الإمام ابن الجوزي هذا الحديث في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية»، كما بينا في التخريج آنفًا، ثم قال: «وهذا حديث لا يصح، قال يحيى بن سعيد: الضحاك عندنا ضعيف. وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بالعلاء بن عمرو». اهـ.

جـ- قلت: وأخذ الشيخ الألباني رحمه الله بأقوال أئمة الجرح والتعديل في بيان علل هذه القصة الواهية، من سقط وطعن، وحكم على هذه القصة بالوضع في «ضعيف الترغيب والترهيب» (١/ ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢)، فقال عن حديث هذه القصة الواهية إنه: «موضوع».

ثم قال: والإسناد منقطع بين الضحاك بن مزاحم وابن عباس، والراوي عنه لين، وآثار الوضع والصنع عليه لائحة، وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٩١)، وأما الجهلة فقلدوا وقالوا: «ضعيف». اهـ.

د- فائدة: الحديث الموضوع هو الكذب المُخْتَلَق المصنوع المنسوب إلى رسول الله ﷺ.

ورتبته: أنه شر الأحاديث الضعيفة، وأقبحها، وبعض العلماء يعتبره قسمًا مستقلاً وليس نوعًا من أنواع الأحاديث الضعيفة.

وحكم روايته: أجمع العلماء على أنه لا تحل روايته لأحد عَلِمَ حاله في أي معنى كان إلا مع بيان وضعه.

رابعًا: شاهد لقصة الريح المسماة «المثيرة»

قد يتعلق من لا دراية له بالمتابعات والشواهد تعلقًا شديدًا بهذا الشاهد الواهي للقصة من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذا الشاهد الواهي؛ لبيان أن هذا الشاهد لا يقوِّي القصة بل يزيدها وهنا على وهن، فالشاهد أخرجه الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/١٨٨، ١٨٩) حيث قال:

أنبأنا محمد بن ناصر وسعد الخير بن محمد قالا: أنبأنا نصر بن أحمد أنبأنا ابن رزقويه حدثنا أحمد بن سلمان حدثنا محمد بن إسماعيل السلمي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا جرير بن أيوب البجلي عن الشعبي عن نافع بن بردة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول وقد أهلّ رمضان: لو يعلم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها. فقال رجل من خزاعة: حدثنا به، قال: إن الجنة تزين لرمضان من رأس الحول حتى إذا كان أول يوم من رمضان هبت ريح من تحت العرش وصفقت في ورق الجنة، فينظر الحور العين إلى ذلك فيقلن: يا رب اجعل لنا من عبادك في هذا الشهر أزواجًا تقر أعيننا بهم وتقر أعينهم بنا، قال: ما من عبد يصوم رمضان إلا زوج زوجة من الحور العين، في خيمة من دُرٍّ مجوفة مما نعت الله عز وجل: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ على كل امرأة سبعون حلة ليس منها حلة على لون الأخرى، ويُعطى سبعون لونًا من الطيب ليس منها لون على ريح الآخر، لكل امرأة منهن سبعون سريرًا من ياقوتة حمراء موشحة بالدر، على كل سرير سبعون فراشًا بطائنها من إستبرق، وفوق السبعين فراشًا سبعون أريكة، لكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجاتها، وسبعون ألف وصيف، مع كل وصيف صحفة من ذهب فيها لون طعام يجد لآخر لقمة لذة لا توجد لأوله، ويُعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر، هذا لكل يوم صامه من رمضان سوى ما عمل من الحسنات».

خامسًا: التحقيق

هذا السند الذي جاءت به القصة تالف، يزيد القصة وهنًا على وهن، حيث قال الإمام ابن الجوزي: «هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، والمتهم به جرير ابن أيوب، قال يحيى: ليس بشيء، وقال الفضل بن دكين: كان يضع الحديث، وقال النسائي والدارقطني: متروك». اهـ.

سادسًا: شاهد آخر لقصة ليلة الجائزة من حديث أبي هريرة

ولنبين أيضًا للقارئ الكريم جميع الشواهد التي يتعلق بها من لا دراية له بهذا الفن توهمًا منه أنها تقوي القصة، ولا يدري أنها تزيد القصة أيضًا وهنًا على وهن، فقد أخرج الإمام ابن الجوزي في

«الموضوعات» (٢/١٩٠) قال: «أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار، أنبأنا أحمد بن محمد البزاز، أنبأنا أبو عبد الله الحسين بن المظفر الهمداني أنبأنا أبو القاسم سعد بن عبد الله أنبأنا أبو منصور بن محمد الأصفهاني حدثنا حماد بن مدرك حدثنا عثمان بن عبد الله القرشي حدثنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانت ليلة الفطر ارتجت الملائكة وتجلى الجبار جل جلاله مع أنه لا يصفه الواصفون فيقول للملائكة وهم في عيدهم من الغد يوحي إليهم يا معشر الملائكة، ما جزاء الأجير إذا وَفَّى عمله ؟ فتقول الملائكة: يوفى أجره. فيقول الله تعالى: أشهدكم أني قد غفرت له».

سابعًا: التحقيق

قال ابن الجوزي رحمه الله: «هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ وفيه مجاهيل والمتهم به عثمان بن عبد الله، قال ابن عدي: حدث بمناكير عن الثقات، وله أحاديث موضوعة، وقال ابن حبان: يضع على الثقات». اهـ.

فائدة: من يقرأ سند هذه القصة الواهية يجدها من حديث مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، وهذا من أصح الأسانيد عن أبي هريرة، فيتوهم أن القصة من أصح الأسانيد ولا يدري أن عثمان بن عبد الله الشامي القرشي متهم في روايته، وكان ممن يروى المقلوبات عن الثقات ويروي عن الأثبات أسانيد ليست من روايتهم، وهذا ما بينه الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢/١٠٢)، والإمام ابن عدي في «الكامل» (٥/١٧٦)، ونقله عنهما الإمام ابن الجوزي، وأقره الشيخ الألباني رحمه الله، حيث أورد حديث القصة في «السلسلة الضعيفة» (١/٤٧٠) ح(٢٩٩) وقال: «موضوع». ثم قال: «عثمان بن عبد الله الشامي متهم في روايته». ثم نقل قول الإمام ابن الجوزي فقال الشيخ الألباني رحمه الله: «وكذلك أورده ابن الجوزي بتمامه في «الموضوعات» (٢/١٩٠) ثم قال ما ملخصه: «موضوع، فيه مجاهيل، والمتهم به عثمان، يضع».

ثامنًا: شاهد آخر واهٍ لقصة الجائزة من حديث أنس

أخرج الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/١٨٧) قال: «أنبأنا محمد بن أبي طاهر أنبأنا أبو محمد الحسن بن علي أنبأنا علي بن عمر عن أبي حاتم البستي حدثنا محمد بن يزيد الزرقي، حدثنا محمد بن يحيى الأزدي، حدثنا أصرم حدثنا محمد بن يونس الحارثي عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم فطرهم باهى بهم ملائكته: يا ملائكتي: ما جزاء أجير وَفَّى عمله ؟ قالوا: رب جزاؤه أن يوفى أجره، قال: عبيدي وإمائي قضوا فريضتي عليهم، ثم خرجوا يعجّون إليّ بالدعاء، وجلالي وكرامتي وعلوي وارتفاع مكاني لأجيبنهم اليوم: ارجعوا قد غفرت لكم وبدلت سيئاتكم حسنات، فيرجعون مغفورًا لهم».

تاسعًا: التحقيق

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: «هذا حديث لا يصح، وأصرم هو ابن حوشب، قال يحيى: كذاب خبيث، وقال ابن حبان: كان يضع الحديث على الثقات». اهـ.

وبهذا يتبين أن هذا الشاهد يزيد القصة وهنًا على وهن.

قلت: وهذا تطبيق عملي للقاعدة التي أوردها الإمام ابن الصلاح في «علوم الحديث» (ص١٠٧) حيث قال: «ومن ذلك ضعف لا يزول لقوة الضعف وتقاعد هذا الجابر عن جبره ومقاومته، وذلك كالضعف الذي ينشأ من كون الراوي متهمًا بالكذب». اهـ.

ولخص هذه القاعدة الإمام ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» ص(٣٣) حيث قال: «والضعف يتفاوت، فمنه ما لا يزول بالمتابعات، يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا كرواية الكذابين والمتروكين». اهـ.

عاشرًا: بدائل صحيحة

هناك بدائل صحيحة في أعلى درجات الصحة، وفقنا الله وحده لنشرها في مجلة التوحيد الغراء عن شهر رمضان وفضائل الصيام تحت سلسلة «درر البحار من صحيح الأحاديث القصار» من حديث رقم (٢٣٧) حتى حديث رقم (٢٦٦) في ثلاثين حديثًا، وكذلك من حديث رقم (٥٨٣) وحتى حديث (٥٩٢)، وكذلك من حديث رقم (٩٤٢) حتى حديث (٩٥٤)، وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

وهذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.



فضل قراءة القرآن الكريم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد حل على الأمة الإسلامية ضيف عزيز وشهر كريم هو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، ولنا مع فضل قراءة القرآن الوقفات الآتية:

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

الوقفة الأولى: معنى قراءة القرآن:

بتتبع الآيات والأحاديث الواردة في فضل قراءة القرآن يتضح أن لفظ القراءة من قبيل المشترك اللفظي فتشمل:

١- القراءة من المصحف.

٢- القراءة من الحفظ.

٣- القراءة عن طريق المدارسة.

٤- تشمل الثلاثة.

- القراءة عن طريق المطالعة

ذكرت القراءة في القرآن والسنة بمعنى المطالعة والدليل على ذلك من الآتي:

أ- قال تعالى: ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ﴾ [الإسراء: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩].

ب- عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف». [أخرجه ابن عدي في الكامل وحسنه الألباني في الصحيحة].

□ القراءة بمعنى الحفظ:

ذكرت القراءة بمعنى الحفظ، والدليل على ذلك الآتي:

أ- قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى﴾ [الأعلى: ٦].

قال ابن كثير: «وهذا إخبار من الله تعالى ووعد منه له بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها». اهـ.

ومعنى «سنقرئك» أي: سَنُحَفِّظُكَ القرآن فلا تنساه إذ أن النسيان يأتي في مقابلة الحفظ، كما أن القراءة من المصحف لا يمكن أن يدخلها النسيان.

ب- عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى». [رواه مسلم].

«اقرؤهم»: أي أحفظهم لكتاب الله، إذ أن الإمام في الصلاة يقرأ من حفظه وليس من المصحف.

ج- وعن سهل بن سعد من حديث المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، فقال رجل: إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال ﷺ بعد أن سأله عن مهر لها فلم يجد: «ماذا معك من القرآن؟» قال: معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا. عدَّها. قال ﷺ: «أتقرؤهن عن ظهر قلب؟» قال: نعم. قال: «اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن». [رواه البخاري].

فقوله ﷺ: «أتقرؤها عن ظهر قلب» معناه: أتحفظهن عن ظهر قلب.

د- عن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وكان ممن يكتب الوحي قال: أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني لأرى أن تجمع القرآن. [رواه البخاري].

ومعنى: «القراء» الحفاظ.

□ القراءة بمعنى المدارسة والمعارضة



أ- قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١]، وقال: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴾ [العلق: ٣]، وفي الحديث الطويل: «فجاءه الحق وهو في غار حراء فجاء الملك فيه فقال: اقرأ. قال رسول الله ﷺ: فقلت: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: أقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ حتى بلغ: ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ».

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، ولذلك رد على جبريل عليه السلام بقوله: «ما أنا بقارئ»، ثم قرأ على جبريل بعد ذلك القرآن.

فالمدارسة: أن يقرأ على غيره ويقرأ غيره عليه ويتعلم معانيه وأحكامه.

ب- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة. [رواه البخاري ومسلم].

جـ- وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين...».

والمراد يستعرضه ما أقرأه إياه، فالمعارضة مفاعلة من الجانبين، كأن كلاً منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع.

□ القراءة بالمعاني الثلاثة السابقة:

ذكرت القراءة ويراد بها أي من المعاني الثلاثة السابقة، الدليل على ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]، فمن قرأ من المصحف ومن قرأ من حفظه، ومن قرأ ويردد خلف آخر، عليه أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم قبل القراءة.

ب- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها». [رواه الترمذي وصححه الألباني]. فهذه تشمل القارئ من المصحف، ومن حفظه، ومن يردد خلف آخر عن طريق المدارسة والمعارضة.

الوقفة الثانية: فضل قراءة القرآن

بعد أن بينا معنى قراءة القرآن الكريم، وأن لها أكثر من معنى فلا بد أن نعرف أن لكل معنى منها فضل يختص به، وهناك فضل لهذه المعاني المختلفة، فنقول وبالله التوفيق:

أولاً: فضل القارئ الحافظ:

اجتمعت للقارئ الحافظ فضائل عدة لم تجتمع لغيره من القراء غير الحافظين سواء كانت قراءتهم من المصحف أو بالاستماع والترديد، ومن ذلك:

١- إكرام الله تعالى له:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط». [رواه أبو داود وحسنه الألباني].

٢- حافظ القرآن من أهل الله:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لله من الناس أهلون». قيل: من هم يا رسول الله، قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته». [رواه ابن ماجه بسند حسن].

٣- شفاعة القرآن له:

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه: اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فِرْقَانِ من طير صواف تُحَاجَّانِ عن أصحابهما اقرؤا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة». [رواه مسلم].

قال معاوية بن سلام: بلغني أن البطلة السحرة، الغمامة والغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما، فرقان من طير أي قطيعان أو جماعتان.

٤- اجتماعه في الجنة مع السفرة الكرام البررة:

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران». [رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري].

قال النووي في شرح مسلم: «السفرة جمع سافر،



والسافر الرسول، والسفرة: الرسل لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله، وقيل: السفرة الكتبة، والبررة: المطيعون، من البر وهو الطاعة، والماهر الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة لجودة حفظه وإتقانه».

قال القاضي: يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقًا للملائكة السفرة لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله، قال: ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم، وأما الذي يتتعتع فيه فهو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران: أجر بالقراءة وأجر بِتَتَعْتُعِهِ في تلاوته ومشقته.

قالَ القاضي وغيره من العلماء: وليس معناه الذي يتتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به، بل الماهر أفضل وأكثر أجرًا لأنه مع السفرة وله أجور كثيرة، ولم يذكر هذه المنزلة لغيره، وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه، والله أعلم. اهـ.

٥- رُقيه في الجنة بقدر ما يحفظ

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: يُقال لصاحب القرآن: «اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها». [رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني].

ظن البعض أن هذا الحديث شمل الحافظ وغيره مستدلين على ذلك بالآتي:

أ- بأن صاحب القرآن هو الذي يكثر من مصاحبة القرآن بتلاوته أو حفظه.

ب- قالوا: لو قصرنا هذا الفضل على الحافظ فقط لترك الناس القراءة بدعوى عدم حصولهم على ذلك الفضل. وهذا الرأي مردود عليه بالآتي:

أ- أن لفظ: «اقرأ» أي: من حفظك، وقوله: فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها، أي: تحفظها، وذلك لحمل لفظ القراءة في الحديث على الحفظ للأدلة الآتية:

١- عن معفس بن عمران قال: كنت مع أبي يسأل أم الدرداء عن فضل القرآن فقالت: دخلت على عائشة فقلت لها حدثيني عن فضل القرآن ؟ فقالت: إن درج الجنة على عدد آي القرآن، وإنه يقال: اقرأ وارق، فإنه ليقرأ ويرقى حتى يَنْفَدَ ما معه، فإن كان قرأ ثلث القرآن كان على الثلث من درج الجنة، وإن كان قرأ نصف القرآن كان على النصف من درج الجنة، وإن كان قرأ القرآن كله كان في أعلى عليين، فلا يكون فوقه أحد من الصديقين إلا الشهداء. [أخرجه ابن أبي شيبة وابن عساكر في تاريخ دمشق وسنده حسن موقوفًا على عائشة].

وجه الدلالة: قول عائشة رضي الله عنها: «فإنه ليقرأ ويرقى حتى ينفد ما معه». فدل ذلك على مقدار ما يحفظ من القرآن من حفظه.

٢- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدرس الإسلام كما يدرس وَشْيُ الثوب». أي: نقشه. «حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة وليسرب على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله فنحن نقولها». [رواه ابن ماجه وصححه الألباني].

وجه الدلالة: ثبت في الحديث أن القرآن يرفع من المصاحف ومن الصدور قبل يوم القيامة ولم يثبت عودته بعد ذلك، فإذا قيل لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ فلا بد من حملها على القراءة من حفظه لعدم وجود مصاحف آنذاك.

٣- لو حملت عند آخر آية تقرؤها على القراءة من المصحف لسارع الجميع بقراءة القرآن كاملاً للحصول على الثواب الكامل، وحديث عائشة رضي الله عنها يدل على خلافه لوجود من يقرأ ثلثه ونصفه.

٤- لو قلنا بحصول الثواب للقارئ غير الحافظ لتساهل الناس في حفظ القرآن لحصولهم على نفس الثواب بالقراءة فقط، وهذا منافٍ للأمر بحفظ القرآن والحث عليه.

٦- يعطى المُلك بيمينه والخُلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين:

عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والده حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا

فيقولان: بِمَ كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذًّا كان أو ترتيلاً». [رواه أحمد وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: حسن أو صحيح].

٧- دنو الملائكة منه

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إذا قام أحدكم من الليل فليستك فإن الرجل إذا قام من الليل فتسوك ثم توضأ ثم قام إلى الصلاة جاءه الملك حتى يقوم خلفه يستمع القرآن فلا يزال يدنو منه حتى يضع فاه على فيه فلا يقرأ آية إلا دخلت جوفه. [رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح موقوفًا على علي، ومثله له حكم المرفوع لأنه لا يقال من قبل الرأي].

٨- يغبطه الناس على حفظه

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يُهْلِكُهُ في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل». [رواه البخاري].

٩- يُقَدَّمُ على غيره

أ- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». [رواه البخاري].

ب- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ثم يقول أيهما أكثر أخذًا للقرآن فإن أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد. [رواه البخاري].

جـ- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان القراء- أي الحفاظ- أصحاب مجلس عمر رضي الله عنه ومشاورته كهولاً وشبابًا». [رواه البخاري].

ثانيًا: فضل القارئ عمومًا

علمنا مما سبق بعض الفضائل الخاصة بالقارئ الحافظ ونستعرض الآن الفضائل المتعلقة بالقارئ عمومًا سواء كان حافظًا أو غير حافظ، وسواء كانت قراءة غير الحافظ من المصحف أو عن طريق الاستماع والترديد مع ملاحظة أن غير الحافظ لا يشترك مع الحافظ في الفضائل التي سبق ذكرها بينما الحافظ يشترك مع غير الحافظ في الفضائل الآتية:

١- القراءة من المصحف تؤدي إلى حب الله ورسوله:

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ من المصحف». [أخرجه ابن عدي في الكامل وحسنه الألباني في الصحيحة].

قال النووي رحمه الله: قراءة القرآن من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر قلب ؛ لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة فتجتمع القراءة والنظر.

٢- له بكل حرف يقرأه حسنة، والحسنة بعشر أمثالها:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول «الم» حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف وميم حرف». [رواه الترمذي وصححه الألباني].

٣- تتنزل عليه السكينة وتغشاه الرحمة وتحفه الملائكة ويذكره الله فيمن عنده

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده». [رواه مسلم].

٤- يبنى له قصرٌ في الجنة

عن معاذ بن أنس رضي الله عنه صاحب النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من قرأ: «قل هو الله أحد» حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة». [رواه أحمد وصححه الألباني].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر». [رواه البخاري ومسلم].

وفي رواية: «مثل الفاجر» بدل: «المنافق». والأترجة: ثمرة كالليمون، ذهبية اللون، ذكية الرائحة.

والحمد لله رب العالمين.



خلاصة الكلام في أحكام الصيام

إعداد: د/ حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

أولاً: تعريف الصوم

الصوم في اللغة: الإمساك مطلقًا، والصوم مصدر صام يصوم صومًا وصيامًا. [الموسوعة الفقهية ٢٨/٧].

وفي الاصطلاح: هو الإمساك عن المفطرات بنية من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. [الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور الزحيلي ٣/١٦١٦].

ثانيا: أركان الصوم

أ- النية: فالنية ركن أو شرط- خلاف مشهور بين أهل العلم- في كل عبادة ؛ لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات». [متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب].

ويجب تبييت النية قبل طلوع الفجر في صيام الفريضة؛ لقوله ﷺ: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له». [صحيح سنن الترمذي ٧٣٠].

أما صوم النافلة فلا يلزم فيه تبييت النية ؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ ذات يوم، فقال: «هل عندكم شيء؟» فقلت: لا. قال: «فإني إذن صائم». [رواه مسلم].

ويجب تعيين النية في صوم الفريضة ؛ لأن الصوم عبادة مضافة إلى وقت، فيجب التعيين في نيتها كالصلوات الخمس، ويجب كذلك تجديد النية لكل يوم من رمضان؛ لأن كل يوم عبادة مستقلة لا يرتبط بعضه ببعض ولا يفسد بفساد بعض.

ب- الإمساك عن المفطرات: وهو ركن متفق عليه بين أهل العلم، وإليك بيان هذه المفطرات:

ثالثا مفسدات الصوم

أ- الأكل والشرب عمدًا

اتفق العلماء على أن من أكل أو شرب متعمدًا في وقت الصيام فقد فسد صومه ؛ لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فَعُلِمَ أن الصيام من الأكل والشرب، فإذا أكل الصائم أو شرب متعمدًا فقد أفطر، أما إذا فعل ذلك ناسيًا فلا شيء عليه ؛ لقوله ﷺ: «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه، فإنما الله أطعمه وسقاه». [متفق عليه من حديث أبي هريرة، واللفظ لمسلم].

ب- الجماع في نهار رمضان

قال ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد»: والقرآن دالٌ أن الجماع مفطر كالأكل والشرب لا يعرف فيه خلاف.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وكذلك من باشر امرأته فقبل أو عانق فأمنى فسد صومه.

ج- القيء عمدًا

إذا استقاء الصائم فقد فسد صومه، أما من غلبه القيء فلا شيء عليه ؛ لقوله ﷺ: «من ذرعه القيء فليس عليه قضاء، ومن استقاء فليقض». [صحيح الترمذي ٧٢٠، وصحيح أبي داود ٢٣٨٠].

د- الحيض والنفاس

إذا حاضت المرأة أو نفست في جزء من النهار سواء وجد في أوله أو في آخره أفطرت فإن صامت لم يجزئها.

لقوله ﷺ: «أليس إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم». [مسلم ٧٩، ٨٠ من حديث ابن عمر وأبو هريرة].

هـ- شرب الدخان

إذا شرب الصائم الدخان أو أدخله إلى حلقه فقد فسد صومه، فقد اتفق الفقهاء على أن شرب الدخان المعروف أثناء الصوم يُفسد الصوم. [الموسوعة الفقهية ١٠/١١١].

رابعًا: ما يحرم على الصائم

إذا كانت هناك أشياء يجب على المرء تجنبها في غير الصوم، فتركها في الصوم أولى ؛ لأن الله تعالى إنما شرع لنا الصوم ليكون وسيلة لتقوى الله، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وحذرنا رسول الله ﷺ من الوقوع في هذه المحرمات فقال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به



فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». [أخرجه البخاري ١٩٠٣ من حديث أبي هريرة].

وقال ﷺ أيضًا: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يصخب، ولا يرفث، وإن أحد سابه أو قاتله فليقل: إني صائم». [متفق عليه من حديث أنس].

وهذه المحرمات وإن كان يجب على الصائم تجنبها إلا أنها ليست من مفسدات الصوم.

خامسًا: ما يُباح للصائم

١- المضمضة والاستنشاق

يباح للصائم المضمضة لأنها من أفعال الوضوء، ولم ينقل عن النبي ﷺ أنه امتنع عنها في صيامه، ولقوله لعمر حين أخبره أنه قبل وهو صائم، فقال ﷺ: «أرأيت لو تمضمضت بماء وأنت صائم؟» قلت: لا بأس بذلك. فقال ﷺ: «ففيم». [أخرجه أحمد في مسنده ١/٢١، وصحيح أبي داود ٢٣٨٥، وصحيح النسائي ٣٠٤٨].

ويُكره المبالغة في المضمضة والاستنشاق ؛ لقوله ﷺ: «... وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا». [صحيح أبي داود ٢٣٦٦].

٢- السواك للصائم

يجوز للصائم التسوك أثناء صيامه لعموم قول النبي ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء». [متفق عليه].

فلم يفرق الرسول ﷺ بين الصائم وغيره.

٣- الصائم يصبح جنبًا

يجوز للصائم أن يدخل عليه وقت الفجر وهو جنب؛ لما ثبت عن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله، ثم يغتسل ويصوم. [متفق عليه].

٤- التبرد والاغتسال

يجوز للصائم أن يصب على جسده الماء بقصد التبرد أو الاغتسال كما ثبت من فعل النبي ﷺ في الحديث السابق، ولما ثبت عند أبي داود أنه كان يصب على رأسه الماء وهو صائم من العطش أو الحر. [صحيح أبي داود ٢٣٦٥].

٥- القُبلة والمباشرة

يجوز للصائم أن يُقبل امرأته ويباشرها دون الإنزال لما ثبت عن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقبل وهو صائم ويباشر وهو صائم، ولكنه كان أملككم لإربه». [متفق عليه]. ويكره ذلك لمن كان لا يملك شهوته.

٦- الحجامة

يُباح للصائم أن يحتجم أو يتبرع بالدم ما لم يُضعفه ذلك عن الصوم ؛ لما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: احتجم النبي ﷺ وهو صائم. [أخرجه البخاري ١٩٣٩].

وسُئل أنس بن مالك: أنتم تكرهون الحجامة للصائم ؟ قال: لا، إلا من أجل الضعف. [أخرجه البخاري ١٩٤٠].

٧- الكحل والقطرة:

يباح للصائم استعمال الكحل والقطرة مما يدخل العين، ولا يصح في النهي عن استعمال الكحل للصائم حديث. [نيل الأوطار للشوكاني].

٨- الحقنة

وهي لا تفطر إذا لم تصل إلى الأمعاء، وكانت غير مغذية، باتفاق العلماء، أما الحقن المغذية أو التي تصل إلى الأمعاء فذهب الجمهور إلى أنها تفسد الصوم، وذهب ابن تيمية إلى أنها لا تفسد الصوم، وهو ما رجحه ابن عثيمين عليه رحمة الله في «الشرح الممتع».

٩- تذوق الطعام

يُباح للصائم أن يتذوق الطعام إذا كانت هناك حاجة؛ كشراء طعام يريد معرفة طعمه أو طبخ أو نحو ذلك، بشرط إلا يدخل شيء منه إلى الحلق، فإذا لم تكن هناك حاجة فيكره له ذلك. [الشرح الممتع ٦/٤٣٠].

سادسًا: ما يُستحب للصائم

للصوم آداب ينبغي للصائم أن يتحلى بها، منها:

السحور:

أجمع أهل العلم على استحبابه؛ لقوله ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة». [متفق عليه].

ويستحب تأخير السحور لما ثبت عن زيد بن ثابت قال: تسحرنا مع رسول الله ﷺ، ثم قمنا إلى الصلاة، قلت: كم كان قدر ما بينهما؟ قال: خمسون آية. [متفق عليه].

تعجيل الفطر

يستحب للصائم أن يعجل الفطر متى تحقق غروب الشمس ؛ لقوله ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر». [متفق عليه].

الدعاء عند الإفطار

يُسن للصائم أن يدعو عند فطره، فدعوته مستجابة ؛ لقوله ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم». [صحيح الترمذي ٢٥٥٢٦، وصحيح ابن ماجه ١٧٧٩، وصحيح ابن حبان (٢٤٠٧) من حديث أبي هريرة].



سابعاً: من يجب عليه الصوم

أجمع أهل العلم على أنه يجب الصيام على المسلم البالغ العاقل الصحيح المقيم القادر، ويجب أن تكون المرأة طاهرة من الحيض والنفاس. (فقه السنة ١/٣٧٠).

ثامناً: من يحرم عليه الصوم

أجمع أهل العلم على أن الحائض والنفساء لا يحل لهما الصوم، وأنهما تفطران وتقضيان وإذا صامتا لم يجزئهما الصوم؛ لقوله ﷺ: «أليس إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم». [مسلم ٧٩٨٠].

تاسعاً: من يباح له الصوم والفطر

١- المريض:

رخص الله للمريض الفطر رحمة به وتيسيراً عليه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فيجوز له أن يفطر ثم يقضي ما فاته من صوم بعد ذلك.

٢- المسافر

رخص للمسافر الفطر أيضاً تيسيراً له للآية السابق ذكرها، وهو مخير بين الصوم والفطر؛ فقد سأل حمزة الأسلمي رسول الله ﷺ: أأصوم في السفر- وكان كثير الصيام- فقال له رسول الله ﷺ: «صم إن شئت وأفطر إن شئت». [متفق عليه].

ولكن يمكن أن يستدل على تفضيل الفطر؛ بما رواه مسلم من حديث حمزة الأسلمي أنه قال: يا رسول الله، أجد مني قوة على الصوم في السفر فهل عليَّ جناح؟ فقال: «هي رخصة من الله تعالى، فمن أخذ بها فحسن، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه». قال الشوكاني: وهو قوي الدلالة على فضيلة الفطر. [نيل الأوطار ٥/٢٢٣١]. وقال عمر بن عبد العزيز: أيسرهما أفضلهما.

٣- الشيخ الكبير والمرأة العجوز

يُرخص للشيخ الكبير والمرأة العجوز وكذلك المريض الذي لا يُرجى برؤه الفطر؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «هو الشيخ الكبير الذي لا يستطيع الصيام فيفطر، ويطعم عن كل يوم مسكيناً نصف صاع من حنطة». [رواه البخاري ٤٥٠٥].

٤- الحامل والمرضع

يباح لهما الفطر إن خافتا على أنفسهما أو أولادهما؛ لقوله ﷺ: «إن الله تعالى وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة وعن الحامل والمرضع الصوم». [صحيح أبي داود ٢٤٠٨].

عاشراً: القضاء

من أفطر في رمضان وجب عليه صيام ما فاته من صيام إن كان له قدرة على الصيام، لقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، ومن مات عليه نذر صوم صام عنه وليه؛ لقوله ﷺ: «من مات عليه صوم صام عنه وليه». [متفق عليه من حديث عائشة].

وذهب بعض أهل العلم إلى العمل بعموم الحديث، وقال بجواز قضاء جميع أنواع الصيام. [المحلى ٢/٧/٢، والشرح الممتع ٦/٤٥٥].

ويجوز القضاء على التراخي لما ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يكون عليَّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان. [متفق عليه].

قال ابن حجر: وفي الحديث جواز تأخير قضاء رمضان- مطلقاً سواء كان لعذر أو لغير عذر. [الفتح ٤/٢٢٥].

ولا يجب التتابع في القضاء، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا بأس به أن يفرق». [علقه البخاري ٤/٢٢].

الكفارة:

وتجب الكفارة على من أفسد صومه بالجماع؛ لما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه أتاه رجل فقال: يا رسول الله، هلكت. قال: «وما أهلكك؟» قال: وقعت على امرأتي في رمضان. قال: «هل تستطيع أن تعتق رقبة؟» قال: لا. قال: «هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: لا. قال: «هل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً؟». قال: لا.... الحديث. [متفق عليه من حديث أبي هريرة].

الفدية:

وتجب على من أفطر في رمضان وعجز عن قضاء ما فاته من الصيام؛ كالشيخ الكبير الفاني، وكذلك المريض الذي لا يرجى برؤه؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾. فسرها ابن عباس بالشيخ الكبير والشيخة إذا كانا لا يطيقان الصوم فيطعمان عن كل يوم مسكيناً، ولما ثبت أيضاً عن أنس أنه بعد ما كبر أفطر وأطعم عن كل يوم مسكيناً خبزاً ولحماً. [علقه البخاري ٨/٢٨ مع الفتح].

نسأل الله أن يبلغنا وإياكم رمضان، وأن يجعلنا فيه من المقبولين الفائزين، إنه نعم المولى ونعم النصير.

والله من وراء القصد.



فضائل شهر رمضان

الحمد لله الذي هدانا إليه صراطًا مستقيمًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي بعثه ربه هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، أما بعد:

فإن لشهر رمضان منزلة عظيمة في قلوب المسلمين، من أجل ذلك أحببت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام بفضائل شهر رمضان، فأقول وبالله التوفيق:

إعداد/ صلاح نجيب الدق

١- لماذا سمي رمضان بهذا الاسم؟

سمي رمضان بهذا الاسم لأن العرب لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة، سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق رمضان أيام شدة الحر ورمضه، فسمي به. (النهاية لابن الأثير ٣/٢٦٤).

٢- رمضان شهر التوبة النصوح

يجب على المسلم العاصي أن ينتهز شهر رمضان ليتوب إلى الله توبة صادقة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحريم: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥]، وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩].

شروط التوبة النصوح

قال النووي رحمه الله: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى فلها ثلاثة شروط، وهي:

١- الإقلاع عن المعصية.

٢- أن يندم على فعلها.

٣- أن يعزم ألا يعود إليها أبدًا.

فإن فُقد أحد هذه الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها أربعة شروط: هذه الثلاثة السابقة بالإضافة إلى الشرط الرابع وهو أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها.

ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته، عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي، وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة. (رياض الصالحين للنووي ص٢٤، ٢٥).

علامات قبول التوبة النصوح

– أن يكون العبد بعد التوبة خيرًا مما كان عليه قبلها.

– أن يبقى الخوف مصاحبًا للتائب ولا يأمن مكر الله طرفة عين.

– انخلاع قلب التائب وتقطعه ندمًا على ما فرط في حق الله، وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها.

– الإكثار من الاستغفار والدعاء في الأوقات الفاضلة إلى الممات. (مدارج السالكين لابن القيم ١/٢٠٦، ٢٠٨).

٣- فوائد الصيام

إن للصوم فوائد كثيرة في الدنيا والآخرة، يمكن أن نوجزها فيما يلي:

١- الصوم سبيل تقوى الله تعالى في السر والعلانية، وكفى بها فائدة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

٢- الصوم سبيل الجنة، ففي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بابًا يُقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم». (البخاري ح١٨٩٧، ومسلم ح١١٥٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه». (البخاري ح١٩٠٤، ومسلم ح١٦٢).



فائدة هامة:

سُئل سفيان بن عيينة عن قوله: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به». فقال رحمه الله: إذا كان يوم القيامة، يحاسب الله عز وجل عبده، ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله، حتى لا يبقى إلا الصوم فيحتمل الله ما بقي عليه من المظالم، ويدخله بالصوم الجنة. (شرح السنة للبغوي ٦/٢٢٤).

ويُحكى عن سفيان بن عيينة أيضًا قوله: «الصوم لي وأنا أجزي به»: قال: لأن الصوم هو الصبر، يصبر الإنسان عن المطعم والمشرب والنكاح، وثواب الصبر ليس له حساب، ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. (شرح السنة للبغوي ٦/٢٢٤).

٣- الصوم وقاية من النار: في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من صام يومًا في سبيل الله، باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا». (البخاري ح٢٨٤١، ومسلم ١١٥٢).

٤- الصوم وقاية من الشهوات: في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». [البخاري ٤٧٧٩، ومسلم ١٤٠٠].

- الصوم كفارة ومغفرة للذنوب: في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه». (البخاري ١٩٠١، ومسلم ٧٦٠).

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر». (ح١٦).

وروى مسلم أيضًا عن أبي قتادة قال: سُئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة ؟ فقال: «يُكفر السنة الماضية والباقية». قال: وسُئل عن صوم يوم عاشوراء؟ فقال: «يكفر السنة الماضية». (ح١١٦٢).

وعن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة». (البخاري ١٧٩٦، ومسلم ١٤٤).

المقصود من هذا الحديث أن كل ما يصدر من العبد من أخطاء في حق أهله أو ماله أو جيرانه، وما أشبه ذلك من الصغائر تكفرها الصلاة والصوم والصدقة.

٦- طيب فم الصائم عند الله تعالى: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك». (البخاري ١٩٠٤).

٧- بَركة السحور: عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تسحروا فإن في السحور بركة». (البخاري ح١٩٣٣). وتتجلى بركة السحور في إدراك صلاة الفجر جماعة في المسجد، وتتجلى بركة السحور في كونه يقوي المسلم على الصوم، ويكفي في بركة السحور اتباع سنة الرسول ﷺ وما يترتب على ذلك من عظيم الأجر من الله تعالى يوم القيامة. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٤/١٦٦).

٥- رمضان شهر تلاوة القرآن وزيادة الحسنات

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

القرآن الكريم هو كلام الله الذي تكلم به حقيقة.

قال الله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦]، وتلاوة القرآن أيسر طريق للحصول على الحسنات.

في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق له أجران». (البخاري ح٤٩٢٧، ومسلم ح٧٩٨).

روى مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه». [ح:٨٠٤].

وروى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ حرفًا من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: «الم» حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف». (حديث صحيح: صحيح الترمذي للألباني ح٢٣٢٧).

السلف الصالح وتلاوة القرآن في رمضان

كان بعض السلف يختم في قيام رمضان في كل ثلاث ليال، وبعضهم في كل سبع، وبعضهم في كل عشر، منهم أبو رجاء العطاردي، وكان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها، كان الأسود يقرأ: القرآن في كل ليلتين في رمضان، وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر في ثلاث، وكان قتادة يختم في كل سبع دائمًا، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر كل ليلة، وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة، وعن أبي حنيفة



نحوه، وكان قتادة يدرس القرآن في شهر رمضان.

وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام.

وقال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان نفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف.

وقال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على تلاوة القرآن، وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان، فإذا طلعت الشمس نامت، وكان زبيد اليامي إذا حضر رمضان أحضر المصاحف وجمع إليه أصحابه. (لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي ص٣١٨، ٣١٩).

ذكر بعض أهل العلم أن عدد حروف القرآن (٣٤٠٧٤٠) حرفًا.

ومن المعلوم أن من قرأ حرفًا من القرآن، كان له به عشر حسنات، فكم يكون ثواب المسلم إذا ختم القرآن مرة واحدة في رمضان ؟ والله يُضاعف لمن يشاء، فلنحرص على أن نختم القرآن أكثر من مرة في هذا الشهر المبارك.

أخي الكريم: إذا لم تختم القرآن في رمضان ولو مرة، فمتى تختمه ؟!

٦- رمضان شهر قيام الليل

قليل جدًا من المسلمين من يصلي بالليل والناس نيام، فإذا اعتاد المسلم أن يصلي التراويح في المسجد، كان من السهل عليه أن يعتاد قيام الليل طول العام، وقيام الليل في رمضان فرصة عظيمة لإدراك ليلة القدر التي يعدل ثواب قيامها عبادة أكثر من ثلاث وثمانين سنة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه». (حديث صحيح: صحيح أبي داود للألباني ١٢٢٢).

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه». (البخاري ح٢٠١٤).

٧- رمضان شهر إجابة الدعاء

الدعاء سلوى المحزونين، ونجوى المتقين، ودأب الصالحين، فإذا صدر عن قلب سليم، ونفس صافية، وجوارح خاشعة، وجد إجابة كريمة من رب رحيم.

إن الدعاء هو العباد، ولا يستطيع المسلم أن يستغني عن دعاء خالقه سبحانه، فالدعاء دليل إظهار العبودية والخضوع لله تعالى وحده، لذا كان من أشرف العبادات، والله يجيب دعوة عبده إذا دعاه مخلصًا في السراء والضراء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال جل شأنه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

روى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر». (صحيح الجامع للألباني ح٣٠٣٠).

أخي الكريم: إذا لم تلجأ إلى الله بالدعاء وأنت صائم في رمضان فمتى تدعوه؟!

٨- رمضان شهر الصبر

إن الصبر لا يظهر في شيء من العبادات كما يظهر بصورة جلية في الصوم، حيث يمنع المسلم نفسه عن الأكل والشرب وسائر المباحات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس طوال شهر رمضان، ولهذا كان الصوم نصف الصبر، وجزاء الصبر الخالص لله تعالى جنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

إن المسلم الذي استطاع أن يصبر عن الطعام والشراب وسائر المباحات ساعات طويلة أثناء الصوم، يستطيع أن يمنع نفسه عن شرب الدخان وغيره من سائر المحرمات باقي العام.

٩- فضل العمرة في رمضان

في الصحيحين عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «عُمرة في رمضان حجة». وفي رواية: «إن عمرة في رمضان تقضي حجة معي». (البخاري ١٧٨٢، ومسلم ١٢٥٦).

فهنيئًا لك يا من قدر الله تعالى لك أن تعتمر في رمضان لتنال هذا الأجر العظيم من رب العالمين.

١٠- رمضان شهر الاعتكاف

الاعتكاف: لزوم المسجد لطاعة الله تعالى، ومن السنة أن يعتكف المسلم العشر الأواخر من رمضان، ولا شك أن من اعتكف هذه الأيام ابتغاء وجه الله فسوف يدرك فضل ليلة القدر، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده.

(البخاري ح٢٠٣٦).

١١- رمضان شهر تهذيب الأخلاق

يجب على المسلم أن يكون دائمًا حسن الخلق وخاصة في شهر رمضان فإن حسن الخلق له منزلة عظيمة عند الله وعند الناس. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم، إني صائم. (البخاري ١٩٠٤).

وروى الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء». (صحيح الترمذي للألباني ١٦٢٨).

وروى الترمذي أيضًا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة غُرفًا ترى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها». فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ فقال: «لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وصلى بالليل والناس نيام». (صحيح الترمذي للألباني ١٦١٦).

وهذه الخصال كلها تكون في رمضان، فيجتمع فيه للمؤمن الصيام والقيام والصدقة وطيب الكلام، فإنه ينهى فيه الصائم عن اللغو والرفث. (لطائف المعارف لابن رجب ص٣١٢).

١٢- رمضان شهر حفظ القلب والأعضاء عن المحرمات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

ينبغي للمسلم أن يجعل مجالسه مع إخوانه مملوءة بذكر الله والتفقه في دينه، وخاصة في شهر رمضان المبارك، ويجب عليه أن يتجنب الحسد والغيبة والنميمة والكذب وشهادة الزور والخداع والغش والنظر إلى المحرمات وغيرها من سائر المحرمات ؛ لأن هذه المعاصي تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

١٣- رمضان شهر الإحسان والجود والصدقات

الجود هو سعة العطاء وكثرته، والله تعالى يوصف بالجود، وكان النبي ﷺ جوادًا كريمًا، يؤثر المحتاجين من الصحابة على نفسه وآل بيته، وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

روى البخاري عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه في كل ليلة حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة. (ح: ١٩٠٢).

فما أجمل أن نقتدي بالنبي ﷺ فنبذل من أموالنا للمحتاجين من الفقراء والأيتام خاصة في شهر رمضان، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال». (ح٢٥٨٨).

إن الصدقات هي سبيل البركة في الأموال والصحة والذرية وزيادة حسنات العبد يوم القيامة.

١٤- رمضان شهر إفطار الصائمين وتأليف قلوب المسلمين

لا تنس أخي الكريم أن تساهم في إفطار الصائمين بقدر استطاعتك، فإن في ذلك أجرًا عظيمًا.

روى الترمذي عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من فطر صائمًا كان له مثل أجره، من غير أن ينقص من أجر الصائم شيئًا». (صحيح الترمذي للألباني ٦٤٧).

هذا الثواب الرباني يحصل عليه المسلم الذي يساهم في إفطار الصائم سواء أكان هذا الصائم غنيًا أو فقيرًا.

فبادر أخي الكريم بإحياء هذه السنة النبوية المباركة، فإنها سبيل الحسنات وتأليف القلوب بين أفراد المجتمع المسلم.

١٥- رمضان شهر الانتصارات وعزة المسلمين

من بركات شهر رمضان كثرة انتصارات المسلمين على أعدائهم، وقد كان لهذه الانتصارات أثر عظيم على أحداث التاريخ الإسلامي، ففي رمضان كانت غزوة بدر الكبرى، وفتح مكة، ومعركة القادسية التي انتصر فيها المسلمون على الفرس، ومعركة عين جالوت التي انتصر فيها المسلمون على التتار، وفتح عمورية وبلاد الأندلس، وكان تحرير سيناء في العاشر من رمضان المبارك.

وختامًا: أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يتقبل منا الصلاة والزكاة والصيام والقيام والصدقات وصالح الأعمال.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



فتاوى الصيام

أجاب عنها فضيلة الشيخ/ مصطفى العدوي

س: هل يجوز للصائم أن يجامع أهله في ليالي رمضان؟ وما الدليل؟

الجواب: نعم يجوز له ذلك، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

س: إذا جامع رجل أهله ولم ينزل، هل يلزمهما ما يلزم المجامع والمجامعة؟

الجواب: نعم يلزمهما ما يلزم من جامع أهله فأنزل، فمادامت الحشفة قد غابت في الفرج فقد لزمهما ما لزم المجامع، وهذا قول كثير من أهل العلم، والله تعالى أعلم؟

س: إذا قبَّل الرجل امرأته الصائمة فأمذت (أي خرج منها المذي) أو أمذى هو، فهل على أحدٍ منهما شيء؟

الجواب: إذا قَبَّل الرجل امرأته الصائمة فأمذت فليس عليها شيء حيث إنه ليس هناك دليل مُلْزِمٌ بشيء، والله تعالى أعلم.

س: هل يجوز للصائمة أن تكتحل ؟

الجواب: نعم يجوز للصائمة أن تكتحل إذ ليس هناك ما يمنعها من الاكتحال، وهذا هو رأي جمهور أهل العلم، وقد صح عن عطاء وإبراهيم والحسن والزهري أنهم قالوا: لا بأس بالكحل للصائم.

هذا ولم يصح في منع الصائمة من الاكتحال حديث، والأصل الجواز ؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وليس الكحل بطعام ولا بشراب حتى تمنع منه الصائمة، والله أعلم.

س: رجل كان مسافرًا في رمضان وأفطر لسفره، وكانت امرأته حائضًا فطهرت فوافق يوم قدومه من سفره يوم طهرها من حيضتها فهل له أن يطأها في نهار اليوم الذي وصل فيه؟

الجواب: نعم يجوز له ذلك، وقد قال بذلك عدد من أهل العلم منهم الإمام مالك رحمه الله، ففي المدونة: قيل: أرأيت إن طهرت امرأة من حيضتها في رمضان في أول النهار وفي آخره أتدع الأكل والشرب في قول مالك بقية نهارها؟ قال: لا ولتأكل ولتشرب وإن قدم زوجها من سفر وهو مفطر فليطأها، وهذا قول مالك.

وقال الشافعي في الأم: وإن قدم مسافر في بعض اليوم وقد كان فيه مفطرًا وكانت امرأته حائضًا فطهرت فجامعها لم أرَ بأسًا.

س: هل تصوم المستحاضة ؟

الجواب: نعم للمستحاضة أن تصوم، فدمها لا يمنعها من صلاة ولا صوم بإجماع العلماء كما نقل ذلك عنهم القرطبي.

س: هل يجوز للمرأة أن تتناول دواءً يقطع الحيضة في رمضان كي تصوم رمضان كاملاً وتقومه؟



الجواب: اعلم أن هذا لا يستحب للمرأة، وذلك لأن الحيض كتبه الله على بنات آدم، ولم تكن النسوة على عهد رسول الله ﷺ يتكلفن ذلك بل لم نقف على امرأة على عهد رسول الله ﷺ فعلت ذلك.

س: هل يجوز للحائض أن تصوم؟

الجواب: ليس للحائض أن تصوم، وقد قال النبي ﷺ في شأن الحائض- كما في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه-: «أليس إذا حاضت لم تُصلِّ ولم تصُمْ».

وقال عليه الصلاة والسلام أيضًا: «أمَّا نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تُصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين».

وقال ابن قدامة- كما في المغني-: أجمع أهل العلم على أن الحائض والنفساء لا يحل لهما الصوم، وأنهما يفطران ويقضيان، وأنهما إذا صامتا لم يجزئهما.

س: رجل صائم وآخر مريض لا يستطيع الجماع هل يجب على زوجيهما الاستئذان منهما لصوم التطوع؟

الجواب: ذهب كثير من أهل العلم إلى أنه لا استئذان في مثل هذه الحالة لزوال معنى النهي في حديث: «لا تصوم المرأة وزوجها شاهد إلا بإذنه». والله أعلم.

س: رجل جامع امرأته وهي صائمة هل تفطر؟

الجواب: نعم إذا جامعها وهي صائمة فتفطر، بلا خلاف أعلمه، إلا في حالة واحدة وهي: إذا أكرهها على الجماع، فإنه إذا أكرهها على الجماع وألجأها إليه إلجاءً فالأظهر لي- والله أعلم- أنها لا تفطر، والله أعلم.

س: هل يجوز للرجل أن يُفَطِّر امرأته إذا صامت بغير إذنه صوم التطوع؟

الجواب: نعم يجوز له ذلك (وخاصة إذا كان صومها يضرُّ به)، لأنه حينئذ يطالب باستيفاء حقه، وقد نص على ذلك غير واحد من أهل العلم، رحمهم الله.

س: امرأة كان عليها صيام أيام من رمضان فأخرتها حتى دخل عليها رمضان آخر، فهل عليها شيء ؟

الجواب: عليها أن تصوم تلك الأيام فقط وليس عليها شيء آخر لا إطعام ولا غيره، إذ ليس هناك دليل ملزم بالإطعام ولا بغيره، ولكن يستحب لها المبادرة بقضاء ما عليها من أيام، والله تعالى أعلم.

س: هل يجوز للحامل أو المرضع أن تفطر إذا خافت على نفسها أو على الجنين أو على الولد؟

الجواب: نعم يجوز أن تفطر الحامل أو المرضع إذا خافت على نفسها أو على الجنين أو الولد ولا نعلم خلافًا بين العلماء في جواز ذلك.

ومن الأدلة على ذلك حديث أنس بن مالك الكعبي القشيري قال: أغارت علينا خيل رسول الله ﷺ فأتيته وهو يتغدى، فقال: «ادن فكل»، قلت: إني صائم، قال: «اجلس أحدثك عن الصوم- أو الصيام-، إن الله عز وجل وضع عن المسافر شطر الصلاة، وعن المسافر والحامل والمرضع الصوم- أو الصيام-»، والله لقد قالها رسول الله ﷺ كلاهما أو أحدهما فيا لهف نفسي هلا كنت طعمت من طعام رسول الله ﷺ. [أخرجه أحمد بسند حسن].

س: هل يجوز للمرأة أن تصوم وزوجها غائب بغير إذنه؟

الجواب: نعم يجوز لها أن تصوم وزوجها غائب بغير إذنه، وذلك لعدم وجود المانع لها من ذلك، وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه». فالاستئذان هنا في حالة وجود الزوج.

وقال النووي رحمه الله: وأما صومها التطوع في غيبة الزوج عن بلدها فجائز بلا خلاف لمفهوم الحديث ولزوال معنى النهي، والله تعالى أعلم.

س: هل يجوز للمرأة أن تزور زوجها المعتكف في المسجد وتتحدث معه؟

الجواب: نعم يجوز ذلك؛ والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ أنها أخبرت أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب (أي ترجع)، فقام النبي ﷺ معها يقلبها، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة، مرَّ رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله ﷺ، فقال لهما النبي ﷺ: «على رِسلكما، إنما هي صفية بنت حيي». فقالا: سبحان الله يا رسول الله، وكَبُرَ عليهما، فقال النبي ﷺ: «إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا».

ففي هذا الحديث جواز خلوة المعتكف بزوجته وزيارتها له وحديثها معه، وكذلك لها أن تأكل معه وتصلح رأسه فلا نعلم مانعًا من ذلك، والله أعلم.

س: هل يجب على المرأة أن تستأذن زوجها لصوم التطوع؟

الجواب: نعم يجب على المرأة أن تستأذن زوجها لصوم التطوع، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم- رحمهما الله- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه».

وقال النووي- رحمه الله-: وقد اتفق العلماء على أن المرأة لا يحل لها صوم التطوع وزوجها حاضر إلا بإذنه لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، ونقل الحافظ ابن حجر- رحمه الله- عن الجمهور القول بتحريم الصوم المذكور على المرأة، وقال أيضًا: وفي الحديث أن حق الزوج آكد على المرأة من التطوع بالخير لأن حقه واجب والقيام بالواجب أولى من القيام بالتطوع، والله أعلم.

س: هل يجوز للمرأة أن تعتكف؟ وما الدليل على ذلك؟

الجواب: نعم يجوز للمرأة أن تعتكف، والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده.

س: امرأة اعتكفت بغير إذن زوجها، فهل لزوجها أن يخرجها من معتكفها؟

الجواب: نعم يجوز لزوجها أن يخرجها من معتكفها إذا اعتكفت بغير إذنه، وذلك في قول أكثر أهل العلم، قال النووي رحمه الله تعالى في اعتكاف المرأة والعبد: لكن لا يجوز اعتكافهما بغير إذن الزوج والسيد فإن اعتكاف بغير إذنهما كان لهما إخراجهما منه بلا خلاف.

س: ما حكم اعتكاف من جامع امرأته وهو معتكف؟ وما حكم اعتكاف المرأة والحالة هذه؟

الجواب: هذا الذي جامع امرأته وهو معتكف قد خالف قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ونقل غير واحد من أهل العلم الإجماع على بطلان اعتكافه، فقال القرطبي- رحمه الله-: وأجمع أهل العلم على أن من جامع امرأته وهو معتكف عامدًا لذلك في فرجها أنه مفسد لاعتكافه.

ونقل القرطبي أيضًا عن أبي عمر (ابن عبد البر) قوله: وأجمعوا على أن المعتكف لا يُقَبِّل ولا يباشر، والله تعالى أعلم.

والمرأة فيما ذُكر كالرجل أي أن اعتكافها أيضًا قد بطل إذا جامعها زوجها إلا إذا كانت مكرهة فحينئذ لا يبطل اعتكافها، والله تعالى أعلم.



من فتاوى دار الإفتاء المصرية

إعداد/ فضيلة الشيخ محمد صفوت الشوادفي
- رحمه الله -

س: طبيب يخالط المرضى والزملاء والزبائن ويجد غضاضة من رائحة فمه في الصوم، وسأل هل هناك مانع ديني من استعمال فرشة الأسنان مع معجون الأسنان وهو صائم وهل يجوز استعمال السواك أم لا؟

الجواب: إن المنصوص عليه شرعًا أن إدخال الماء إلى الفم في المضمضة لا يفسد الصوم ما دام لم يدخل شيء منه إلى جوف الصائم، وكذلك لا يفسده استعمال السواك في نهار رمضان، رطبًا كان السواك بالماء أو جافًا، ومثل السواك في ذلك استعمال فرشة الأسنان سواء استعملها الصائم وحدها أو مع معجون أسنان ما دام لم يبالغ في ذلك إلى درجة يتسرب معها شيء من المعجون إلى جوف الصائم؛ لأن ذلك هو الذي يترتب عليه إفساد الصوم، لا استعمال الفرشة والمعجون مع التحرز وعدم المبالغة في الاستعمال، فإن لم يؤد استعمال الفرشة مع المعجون إلى دخول شيء من المعجون إلى جوف الصائم كان الصوم صحيحاً ولا شيء في الاستعمال، وإن أدى إلى دخول شيء منه إلى الجوف كان مفسدًا للصوم، والله أعلم.

[المفتي: فضيلة الشيخ: حسن مأمون].

س: ما الحكم الشرعي لشاب في الخامسة والعشرين من عمره وليس عنده أي عذر شرعي من مرض أو سفر أفطر عدة أيام في شهر رمضان المعظم، فهل عليه كفارة أم لا؟

الجواب: أجمع المسلمون على أن من أنكر ما ثبت فرضيته- كالصلاة والصوم، أو حرمته كالقتل والزنا- بنص شرعي قطعي في ثبوته عن الله تعالى وفي دلالته على الحكم وتناقله جميع المسلمين كان خارجًا عن ربقة الإسلام لا تجري عليه أحكامه ولا يعتبر من أهله. قال ابن تيمية في مختصر فتاويه: «ومن جحد وجوب بعض الواجبات الظاهرة المتواترة كالصلاة، أو جحد تحريم المحرمات الظاهرة المتواترة كالفواحش والظلم والخمر والزنا والربا أو جحد حل بعض المباحات المتواترة كالخبز واللحم والنكاح فهو كافر، لَمَّا كان ذلك، فالشاب الذي أفطر في نهار رمضان عمدًا من غير عذر شرعي، إذا كان جاحدًا لفريضة الصوم منكرًا لها كان مرتدًا عن الإسلام، أما إذا أفطر في شهر رمضان عمدًا دون عذر شرعي معتقدًا عدم جواز ذلك، كان مسلمًا عاصيًا فاسقًا يستحق العقاب شرعًا، ولا يخرج بذلك عن ربقة الإسلام، ويجب عليه قضاء ما فاته من الصوم باتفاق فقهاء المذاهب، وليس عليه كفارة في هذه الحالة في فقه الإمام أحمد بن حنبل، وقول للإمام الشافعي، ويقضي فقه الإمامين أبي حنيفة ومالك، وقول في فقه الإمام الشافعي بوجوب الكفارة عليه إذا ابتلع ما يتغذى به من طعام أو دواء أو شراب، وهذا القول ما نميل إلى الإفتاء به.

وكفارة الفطر عمدًا في صوم شهر رمضان هي كفارة الظهار المبينة في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٣، ٤].

نسأل الله لنا وللمسئول عنه قبول توبتنا وهدايتنا إلى العمل بأحكام الدين، والله سبحانه وتعالى أعلم. [المفتي: فضيلة الشيخ: جاد الحق علي جاد الحق].



إن لله وإنا إليه راجعون

تحتسب جماعة أنصار السنة المحمدية مجموعة من رجالها:

١- توفي الشيخ محمود عبد العزيز سيد يوم ١٢/٨/٢٠٠٨ عن عمر يناهز ٨٦ عامًا، وكان رحمه الله يعمل بمجلة التوحيد ملازمًا للشيخ محمد حامد الفقي، رحمه الله.

٢- كما توفي يوم الجمعة الموافق ١٤ شعبان الشيخ دسوقي أبو دنقش، أحد مؤسسي فرع منشية الكباري.

٣- كذلك توفي يوم الأحد الموافق ١٠/٨/٢٠٠٨ الأخ عصام محمود عبد المولى زياد، أحد مؤسسي أنصار السنة بكفر يوسف.

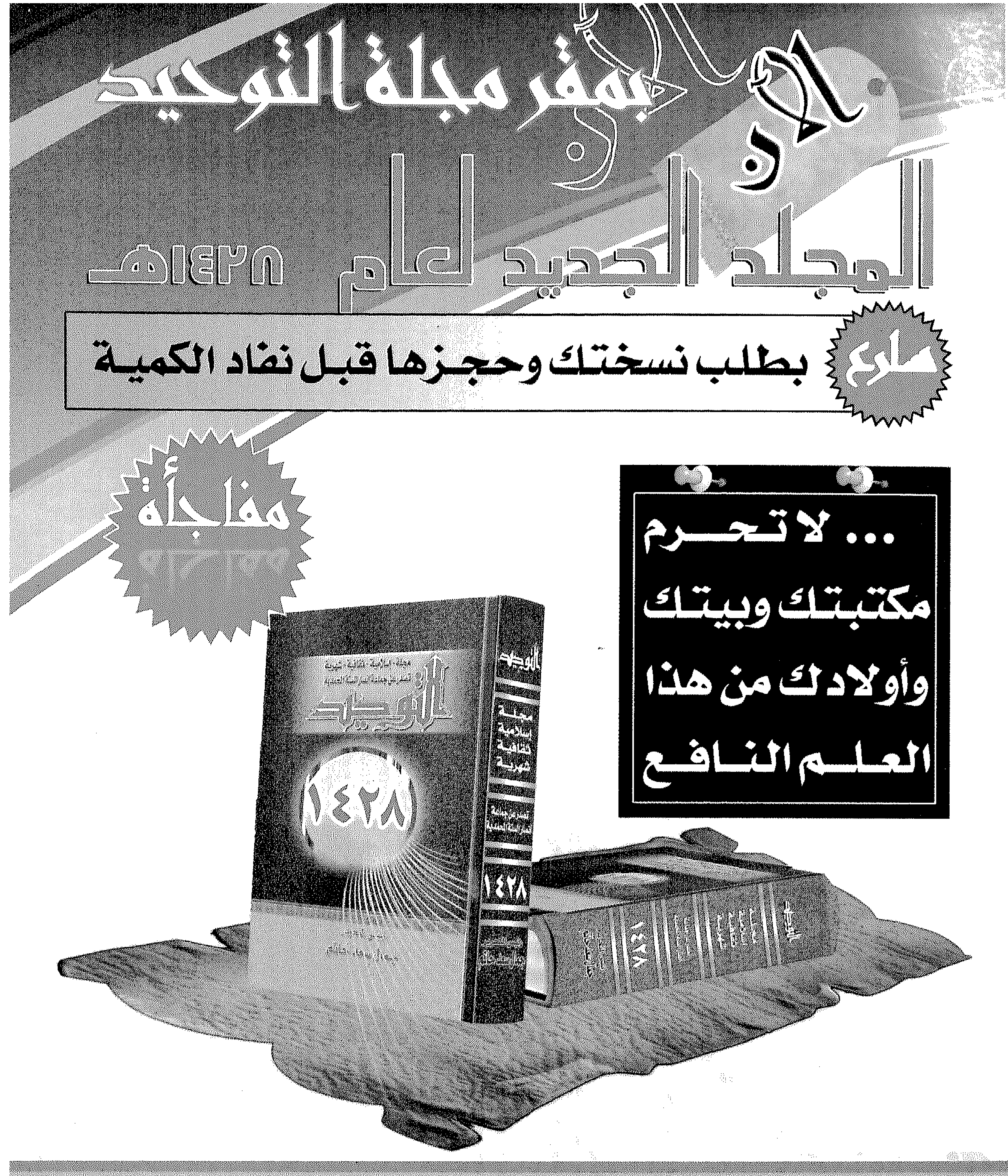
٤- كما فقدت الجماعة يوم الجمعة الموافق ٢١ شعبان الأخ السيد عليوه بحيري، رئيس فرع ميت غمر.

وأسرة تحرير مجلة التوحيد تسأل الله العلي العظيم لهم الرحمة والمغفرة.

بشرى سارة

تم افتتاح معهد إعداد الدعاة النموذجي لجمعية أنصار السنة المحمدية - فرع قنا - وعلى من يرغب التقدم الاتصال ب: ٠١٠٠٠٨٧٧٧١

العنوان: قنا شارع ٢٦ يوليو أمام نادي الشرطة. والله الموفق.


الآن بمقر مجلة التوحيد
المجلد الجديد لعام ١٤٢٨هـ
سارع بطلب نسختك وحجزها قبل نفاد الكمية
مفاجأة
... لا تحرم مكتبتك وبيتك وأولادك من هذا العلم النافع
١٤٢٨

هل تريد أن تكون جزءًا من مشروعنا الخيري

هيا معنا أيها المسلمون نكفل أيتامنا



لمن يرغب في التبرع يرجى التوجه إلى المركز الرئيسي لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة ٨ شارع قولة - عابدين - المركز العام - أو الاتصال بهاتف رقم ٢٣٩٥٩٢٠٣ أو عمل إيداع على حساب رقم ٢١٣٧٩٧ بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - يرجى إرسال صورة الحوالة على فاكس رقم ٢٣٩٥٩٢٠٣ أو عمل حوالة بريدية باسم / مدير إدارة الأيتام على مكتب بريد عابدين على نفس العنوان